

Re-tan Cover p. 20

12130



الرفيق محمد صالح

١٩٥٨ - ١٩١٤



UNIVERSITY OF KHARTOUM LIBRARY	
LOCATION.	
ACC. NO	76517
CLASS MARK	89 al-Darbi

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف
المرسلين سيدنا محمد الذي أنزل عليه فيما أنزل (وَقُلْ
اعْمَلُوا فَيُرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ
إِلَى عَالَمٍ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشَأُ مِنْكُمْ يَوْمَ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

صدق الله العظيم

فہرست

صفحة	١	٢	٣	٥	١١	١٢	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٣	٢٦	٢٩	٣١	٣٢	٣٢	٣٥	٣٧	٣٨	٤٠	٤٢
أهداء																									
تصريف																									
تصديق																									
بن النملة والتدريس																									
الطلاب الأولي																									
بداية اليقظة																									
فكرة النادي																									
النادي يدخل التاريخ																									
المتر سمسون																									
ذاتية الخريجين																									
جماعة الفجر																									
معاوية محمد نور																									
جريدة الصوت																									
فكرة مؤتمر الخريجين																									
ذكريات السلك الإداري																									
في جبال النوبة																									
ذكريات القضاء																									
الحكم بالقرائن																									
الحكم أجل																									
محاكمة انجليزى بالجلد																									
بنى وبين المغش																									
العمل الوطنى فى قيود الوظيفة																									
لجنة دستور الجمعية التشريعية																									
لجنة الجنوب																									
لجنة الدستور																									

صفحة

٤٤	قتل طفلى
٤٥	في مجلس جامعة الخرطوم
٤٧	لحظات حرجة لا أنساها
٥٠	في الميدان السياسي
٥٠	جمعية اللواء الأبيض
٥١	حزب الجبهة الوطنية
٥٢	الأحزاب السياسية في بارس
٥٦	مذكرة تفسيرية
٥٩	نداء وختمام
٦١	الحزب الوطني الاتحادي
٦٢	الصلح بين نجيب وجمال
٦٣	في بيت الرئيس جمال
٦٥	التقاء الأحزاب السودانية
٦٩	لجنة الحاكم العام
٦٩	السودنة
٧٠	الانتخابات
٧٠	جلاء الجيش الأجنبي
٧٢	في لجنة الحاكم العام
٧٣	السودنة ومستوى الإدارة
٧٤	اللجنة والحاكم العام
٧٦	نص الخطاب
٧٩	في مجلس السيادة
٧٩	المجلس يملك ولا يحكم
٨٠	في رئاسة المجلس
٨٢	العلاقات السودانية الاثيوبية
٨٧	نهضة المرأة السودانية
٨٩	التقاء السيدين

صفحة

٩٢					السيد على المرغنى
٩٥					ابن عقان الثورة المهدية
١٠٠					شخصيات لا أنساها
١٠٠					الشيخ احمد السيد الفيل
١٠٢					السيد حسين شريف
١٠٣					الرشيد محمد عثمان
١٠٤					محمد احمد سليمان
١٠٨					البربرى
١١٠					محمد سر الختم صالح جبريل
١١٣					خاتمة

الهدوء

إلى الشعب السوداني الأبني الكريم



صاحب المذكرات

تعريف

لقد جرى العرف في الحياة الاجتماعية الحديثة ، ان يقوم المرء بتقديم نفسه الى من يلتقى بهم في حفل أو ندوة ، حتى اذا ما اشترك بالحديث عرف السامعون من الذى يخاطبهم . وفي هذه المذكرات التى اقدمها للقراء ، انما أحدثهم عن احداث حياتى من جانبها العام ، ولا شك ان القراء يودون ان يعرفوا شيئا عن هذا الذى يتحدث اليهم غير انى قد وجدت حرجا في تقديم نفسى ، وهو حرج زين الي ان اغفل هذا التقديم لولا شعورى بان هذا الاغفال نقص ، ولولا ان الصدفة وحدها قد اوقعتنى بين أوراقى الخاصة على النشرة الرسمية التى اصدرتها وزارة الداخلية السودانية للتعريف بشخصى عند تعيينى عضواً في مجلس السيادة لجمهورية السودان ، وها أنا اثبتتها فيما يلى دون زيادة :

((ولد في أمدردمان سنة ١٨٩٦ وتلقى تعليمه بمدرسة أمدردمان الوسطى ثم كلية غردون حيث تخرج مدرسا في مدارس حكومة السودان سنة ١٩١٤ واستمر الى أن طرأت فكرة أخذ الإداريين من السودانيين فكان في طليعة من انتخب في السلك الإدارى كنائب مأمور ثم صار مأمورا فمحاضرا في كلية البوليس ولما فتح السلك القضائى للسودانيين كان سيادته أول سودانى احتل منصب قاضى بالمحاكم المدنية ورئيسا لقلم الترجمة القضائية فقاضيا بالمحاكم العليا وكان أول سودانى شغل منصب قاضى محكمة عليا وقد تقاعد بالمعاش في سنة ١٩٥٢ ودخل الميدان السياسى كسكرتير للجنة الوطنية وسافر الى باريس على رأس وفد من كبار السودانيين ليدافع عن قضية البلاد أمام هيئة الأمم المتحدة كما قام بمجهود بالغ في محادثات السودان - مصر - بريطانيا التى تمخضت عن معاهدة سنة ١٩٥٣ والتى نال بموجبها السودان الحكم الذاتى . ونظرا لما يتمتع به سيادته من تجارب قيمة وادراك واسع وفهم صحيح للقضية السودانية فقد انتخب عضوا في لجنة الحاكم العام التى كانت تشرف على ممارسة سلطات الحاكم العام

وفي يناير سنة ١٩٥٦ وعندما نال السودان استقلاله انتخب من البرلمان بالاجماع عضوا بمجلس السيادة .

وهو من الاوائل الذين فكروا في انشاء نادى الخريجين بامدرمان الذى لعب دوره السياسى والاجتماعى فى الحياة السودانية وكان من اعضاء لجنته التأسيسية سنة ١٩١٨ كما كان ايضاً من اوائل من فكر في قيام مؤتمر الخريجين سنة ١٩٢٨ وقد ترأس اول دورة فيه .

وللسيد الدرديرى فى ميدان الخدمات الاجتماعية والتعليمية ما يعرفه الكثيرون ومن أبرزها رعايته لمدرسة بورتسودان الاهلية التى نشأت كمدرسة أولية ثم وسطى وكان له النصيب الاوفى فى انشائها حتى أصبحت بفضل مجهوداته مدرسة ثانوية .

كما كان عضواً بمجلس ادارة كلية الخرطوم الجامعية ولجنتها الدائمة منذ ان انشئت الى ان تم مستواها الجامعى هذا العام واستقال لما عين عضواً فى مجلس السيادة لجمهورية السودان . «

تصدير

ما كان يدور بذهنى فى يوم من الايام اتنى ساجلس لاكتب
أو لاملئ على أحد ذكريات وصفحات من حياى كما يعمل الناس ،
ما كن يدور بخلدى شئ من ذلك لولا الالاحاح الشديد للتواصل
الذى صه علي ابن اختى السيد يوسف مصطفى السى ولولا تأثره علي
واقناعى بأن فى ذكره ما يساعد المؤرخين بتاريخ السودان الحديث فى
منصف لقرن العشرين فضرب بذلك عى وتر بالنسبة الى جد حساس
كما حاءنى من ناحية يعرف ضعفى ارءها وهى العمل من أجل السودان
من أية ناحية كانت وفى أى مجال أتبع . فاستجبت الى اقتراحه وفى
نفسى بعض النفور لا استعلالا لوجهة نظره ولكن خشية ان يقول قائل
ان فلان انما يشبه بالعظماء وأصحاب الامجاد ويشهد الله انه لم يدر
بخلدى يوما اننى قد أدت لهذه البلاد حقها لكامل أو ما كنت آمل ان
تهيئ لى الايام والظروف اداءه ، ومن هه شعوره نحو ما أدى لبلاده
لن يصح فيه القول بأنه يفاخر بما أدى فان كان فى الجهد الذى أدتته
وفى المشاركة المحدودة فى خدمة هذه البلاد العزيزة ما يرى بنى يوسف
انه مما يستحق التسجيل وان غيره يرى نفس رأيه فيه ، لم يكن هناك
مناص من الاستجابة . وقد وجدت فى الصديق الاساذ يحيى عبد القادر
خير معوان على ذلك . فاسعف ذاكرتى بما غاب عنى من التفاصيل
ثم صاغ هذه المذكرات بأسلوبه المشرق الذى يطالعه القارئ فى هذه
الصفحات . وعندما يجلس الانسان ليستعرض احداث عمره وهى تعطى
نصف قرن من الزمان لا يستطيع أن يتذكرها جميعا فضلا عن ان
يستوعبها جميعا . . ولا يجد بدا من أن ينظر الى تلك الاحداث بعين
قراء مذكراته لا بعينه هو فيستبعد ما كن يود أن يذكر وقد يذكر ماكان
يود ان يستبعد . وهكذا لا أجده بدا من ان اتخير واحتر وأن اصب
لذكريات حياتى هذا الميزان الذى يمسك غيرى بنصابه وحتى وأن أسرد

هذه الذكريات اذ ذكرها عفو خاطر مع مراعاة التسلسل الزمني
ما لمكن ولكن دون التزام وقد رأيت ان ابدأ من البداية دون تفصيل
منجاهلا من احداث حياتي الخاصة ما لا يكون ذا صبغة عامة أو معما
من معالم تطورات هذه البلاد والله الموفق والمعين *

العزيزي محمد جنان

أول محرم سنة ١٣٨١

١٤ - ٦ - ١٩٦١

بين التعليم والشرس

لنحفل بالمدرسة الأولية في أمدرمان سنة ١٩٠٥ وقضيت
أد والسيد احمد محمد صالح والسيد ميرغنى حمزه سنة واحدة فقط
في الكتب تقنا بعدها الى المدرسة الابتدائية *

ومضينا أنا واحمد محمد صالح وميرغنى حمزه سننى الابتدائى
الاربع ورامسا فى المرحلة الثانوية المرحوم محمد الحاج الامين وتخرجت
تلاتسا كمدرسين ، وكما كل الدفعة ! أما ميرغنى حمزه فقد التحق
بقسم المهندسين *

وكن انصراف الناس عن التعليم لمدىنى فى ذلك العهد المبكر من
حياة السودان . استجابة لمخاوف وهمية وشعورا بسوء ظن فى كل
ما يصدر من المستعمرين ، قد قلل من عدد الطلبة فى المدارس الى حد
لا يمكن تصويره *

كانت المدرسة كلها تتألف أحيانا من مجموعة من الطلبة تكاد تقرب
عدد المدرسين وربما كان هذا المظهر أشبه بالتعبيرات الكريكاتورية
المثيرة للسخرية . ولكنه كن فى واقعه أمرا محزنا جديرا بأن يثير أقصى
غايته الاشتفاق وكان الطلبة فى ذلك العهد يلزمون باللبس الاقربجى
يتوجه (الطربوش) الذى لازمى حتى الآن ، حتى أصبح أحد مظاهرى
الدالة على وحتى قال بى أحد الصحفيين ذات يوم ن الطربوش أصبح
جزءا من شخصيتك حتى ليشك المرء فى شخصك ان لم تكن لابساه *

وفد درجت على لبس الطربوش منذ عهد الدراسة فى مدرسة
أمدرمان الاولى حتى كلية غردون اذ كان هو غطاء الرأس الرسمى
للطبة فى ذلك الحين ، كما كان غطاء الرأس لرسى لكل رجل الدولة
بعد الفتح بما فى ذلك السودانيون والانجيز على السواء *

وقد كن حرسى على يسى الطربوش بعد الدراسة يرجع سعو من
الآنية : —

أولاً : لبس للسودانيين من لايسى ، اللبس الافرنجى غطاء
رأس قومى * .

ثانياً : عدم ارتياحى للبس البرنيطة لانها عطاء ارأس للاوربيين *
ثالثاً : الطربوش غطاء رأس اسلامى يسكن ارتداؤه عند
الصلاة أبضاً * .

يضاف الى ذلك اسى لم اكن أطبق ما يفعله الاخرون من ترك الرأس
عارياً لعوامل صحية وتقيدية ولا بد هنا من ذكر عمل الالفه
وقد قبل الشاعر : —

خلقت الوفا لو رجعت الى الصبا

لفارقت شيبى موجه القلب باكيا

وقد يكون ذا طرافه تاريحية ان اطلع القراء على صورة لتلاميذ
كلية غردون فى عام ١٩١٢ (وكسب بينهم) ولعن الناطر اسها لا يخضىء
الرئيس للنواء محمد نجيب وهو الاول من الصف الرابع (الحبوس) *
واذكر فس تحرجى ان دعانى المستر سمسون فطر كلية غردون
آه الله وقال لى : —

هل تعرف سلاطين باشا ؟

فأجبه — لا — قل انه يطلب مقاسمك هل تعرف مكبه * .

جبه — لا

قال لى — انه فى ديوان الحرية * * * وسلاطين باشا هو مفتش
اسودان العام * .

ثم ، نصرفت وذهنى مشغول بهذه المقابلة التى لم كن اتوقعها ومن
شخص لا اعرفه ولم اكن اعلم بوجوده من قبل * .

وذهبت غداة ذلك اليوم الى ديوان الحرية حيث سألت عن
مكتب سلاطين *

وبعد ان اهديت اليه ، استأذنت فادخلت لي وادخلني عليه لحاجب
واستقبلني الرجل بالبشر *** وصدقني بيد تفقد أحد أصابعها *
وقال لي في لهجة البجليين الاصلاء : شديت ضررنا ياود محمد
عثمان * لقد سألت عنك مدير المعارف فأبلغني بانك ناجح جدا *
وكن يكلمني ويده في جيبه ، ينظرون تعبت بالنقود وأنا أسمع
رئيسها *

وقال هل تريد شيئا * ولعله كان ينتظر ان أسأله عونا ماديا **
فأجبتته بعد ان كرر سؤاله مرة أخرى قائلا : بإسعادة الباشا انني اتممت
التعليم في بلادى وأنا الآن صغير لسن *** اذ ان عمري لم يتجاوز
اسبعة عشر عاما *** وأهلى غير محذجين لمساعدتي ، فاطلب منك ان
ترسمي لأكمل تعليمي في بلادك نجلنا * (وكنت اعتقد ان سلاطين
باشا انجليزى) ولم اكد انهي من جملة حتى بدت عليه مظاهر الدهشة
ثم اخرج يده من جيب البنصون في هدوء *

وقال لي : ياود محمد عثمان *** قد طببت منى شيء ليس من
سلطنتي * وسوف أسأل معالى الحاكم العام ، وافيدك سريعا * شد جيلك
مع السلامة وسلم على أخيك خالد *
ثم خرجت *

وبعد ثلاثة أو أربعة أيام طلبني المستر سمسون في مكتبه ***
وقال لي في لهجة عي ودية : ماذا قلت لسلاطين باشا ؟
فأعدت عليه تفاصيل ما در بيني وبين سلاطين باشا *
فقال لي : هو مشين انجليزى *
اجبتته : انهي لا اعرف ذلك *

ثم قال : انى سلاطين بدشا فـد تحدث لى وقال انه سأل معالى
الحاكم العام عما اذا كان فى الامكان ارسالك للتعليم فى ،نجلترا ، ولكن
الحاكم اعلم عبر عن أسفه لعدم مكانه اجدية طلبك لان الوقت لم يحن
لارسال بعثات من السودان للتعليم فى الخارج .

واستطرد المستر سمسون يقول : وقد عيك مدرسا رغم صغر
سنك .

ثم تداول كدبا بيده وقال وهو يبتسم : اذا أنت تعلمت فى الخارج
سوف تعود لتقول للانجليز اخرجوا من السودان .

ودون ان ينتظر جابتي قال لى (ايذفا بالانصراف) مع السلامة :
فخرجت وأه ذذاك دهش لهذه السلسلة المتصلة لحلقات التى تنتقل
المعلومات بينها بسرعة البرق .

وقد علمت من أخى خالد فيم بعد ، عندما بلغته تحية سلاطين بدشا
أن سلاطين كان صديقا لو لدنا عندما كان سلاطين سيرا (مسلم) يهلل
ويكبر فى الصلوات الخمس فى عهد المهديّة .

والآن حمدت الله ابدى حقق ظلمهم بى ، فاشتريت مع الذين عملوا
لاستقلال السودان واخراج الانجليز منه .

وكان أول تعيينى فى عام ١٩١٤ مدرسا للغة الانجليزية بمدرسة
أمدرمان الابتدائية - كما كانت تسمى آنذاك - وكانت المرتبات قليلة
فى ذاتها حتى بدون ان تفارق بمرتبات وملاّتهم من مصريين و نجليز .
فكان مرتب القضاة الشرعيين ومدرسى العربية خمسة جنيهات فى الشهر
لكل منهم ، ولمدرسى اللغة الانجليزية سبعة جنيهات ولمهندسين ثمانية
جنيهات وكانت العلاوات قليلة بطيئة ، وكان دفع الانجليز عن هذه
المرتبات الضئيلة ان معيشة السودانيين لا تتطلب مالا فكل ما يحتاجونه
هو اللحم الناشف (اشرموط) والذرة ليصنعوا منها طعاما يأكلونه فى
قصعات من الخشب (القدح) ! وهذا الدفع (على فرض ان كانوا

صادقين في وصفهم لمتطلبات حياة السوداني (دفاع يكفي لاثبات اتهامهم بانهم ما كانوا يعملون لرفع مستوى حياة هذا الشعب الذي وقع بين يرائهم وزعمو انهم جاءوا لرفعه وتمدينه ، ولم يكتب الانجليز بقرض هذه المرتبات الضئيلة بل كانوا كما قدمت يبطئون في صرف العلاوات حتى عندما تستحق حسب قانونهم السائد في ذلك الوقت . وقد حدث ان حرمت أنا و افراد دفعني من المدرسين من احدى علاواتنا ، فحلفت بالطلاق ، ان استقيس ان لم تصلني علاوتي + قفل هذا الخبر الى مدير المعارف . فاستدعاني وسأني عن صحة واقعة الحلف فأيدتها له . فقال لي أنا لم أحرمتك علاوتك ولكن مصلحة المالية تقول انك صغير السن وتساءلت كم يكون مرتبك بعد خمس وعشرين سنة لو سارت زيادة مرتبك بهذه الخطوات ؟ فقلت له : هن قانون الدرجات ينص على ان سير العلاوات مرتبط بالسن ؟ فقال : لا - فنت اذن اعطونا حقنا الذي رسمه لنا القانون الذي وضعتموه بانفسكم + عندئذ حاول ان ينق الجدل الى ميدان آخر ، فقل لي لعلكم لا تقدرون مهنة المدرس . انها مهنة لا يقوم صاحبها بالمال و فما بما ينتج لبلاده من رجال مثقفين يبنون وطنهم . ألا يكون مسروراً بعد عشرين عام مثلاً عندما ترى ان كبار موظفي الدولة من تلاميذك ؟ قلت له ربما شعرت بالحسرة ان وجدت اني متحلف عنهم ، لاني سأجد نفسي كحجر المسن ، يسن ولا يقطع . هذا ما قلته آنذاك أما انصافه فاقول اني قد تذوقت لسرور الذي أشار اليه عندما رأيت ان من بين تلاميذي من اداروا دفعة هذه البلاد أمثل الاستاذين عبد الفتاح المغربي واسماعيل لازهرى . ثم أنهى مدير مقبلي له بان قال لي : تعود مستقبلاً ان تطالب بحقك ولكن بدون ان تحلف ، ولا تنقل ما دار بينك الى المدرسين . وبعد أيام صرحت لي ولزملائي تلك العلاوة التي حاوت السلطات حرمتنا منها .

وكما يقولون في المثل الدارجي (يموت الزمار وأصبعه تعب) فان اعترازي بمهنة التدريس لم يفتر وتبعني لسير التعليم في السودان لم يقطع حتى بعد ان تركت مهنة التدريس . وقد حدث في عام ١٩٣٧ حينما كنت

أحد أعضاء وفد السودان لحضور حفلات تتويج الملك جورج السادس ملك بريطانيا ، ان اجتماع بنا أحمد كيدار البريطانيين المهتمين بالتعليم - وقد عدت على اسمه - وسألنا : كيف حال التعليم في بلادكم ؟ فقلت له بكل أسف وصراخة انه سيدهور . فقال في اهتمام : كيف ذلك ؟ فأجبته : نحن نذيق تراثنا من أوائل الخريجين وبعد مضي ربع قرن تقريبا على تخرجنا فاننا نشعر ان مستوى تعليم في أيامنا أرفى مما هو الآن . ومن أسباب ذلك انه بعد ان غادر السودان كل من السير جيمس كرى وفائيه المستر كروفوت - وكلاهما من رجال تنعيم - اسندت مصلحة المعارف الى مفتشين اداريين من حكومة السودان ، وليس بينهم رجل اختصاص وريطوا بين التعليم والسياسة فنزل المستوى . فرد الرجل مؤمنا : هذا هو السبب ! وقد علمت فيما بعد انه كانت نتيجة هذه الحادثة ان عين المستر كوكس مديرا للمعارف السودانية ويذكر المعاصرون ما عمله هذا الرجل لرفع مستوى التعليم . وما كانت شكوى من انخفاض مستوى التعليم في زمن تلك الحادثة تعصبا على غير حق ، ولكن استنادا على المقارنة بين ما كان يدرس لابنائنا وما كنا نتلقاه في كلية غردون على أيدي فطاحل الاساتذة المصريين أمثال المشايخ الخصري والعروى وبعد لرؤوف سلام وفؤاد الحظيب والجداوي وغيرهم وما كان معبرا لنا من كتب أمثال احياء علوم الدين للغزالي والكامل المبرد وما في مسنواهما . كما اذكر اننا كنا نتلقى دروس اللغة الانجليزية من اساتذة مع ان عددنا نحن طلبة قسم المدرسين في دفعتنا لم يتجاوز ثلاثة .

ثلاث أيام خلل ، ووضع التعليم في أيدي أبناء برره من رجال هذه الامة ، مؤتمين على أمانتهم ، يدأبون لسبل نهضة لرفع مستوى التعليم في بلادهم وصدق وعد العزيز الحكيم (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم اوارثين) .

الظلم في السودان

بدأت حياتي في المحيط الاجتماعي عام ١٩١٧ حين تهيأ الوسط مناسب لذلك وكان السودان آنذاك يحاول ان يستيقظ ، لقد أخذت «الطلائع الاولى» من خريجي كلية عردون تعتمد الوظائف والاعمال ذات النفع المحدودة ، وظهر أثر هذه الطلائع في محاولات فردية خالصة . بعض هذه الأثر كان جيدا ومفيدا وخلقنا بالاعتناء ومنهنا مع تقايدنا وآدابنا وما درج عليه من فصائل وبعضه غير جيد ولا مفيد وربما كان ضارا ... كما بدا من أوثق الدين مضوا يشبهون بالبريطانيين في جانب المطم من حينهم كثر الخمر ولعب القمار والتعاطف الكاذب في المشية وجلوس والمعاملات . وكانت لحرب العظمى قد فرغ أبوب السودان في سنة ... وهزت الجحش الناشئ غير دى التجارب بإحداثها المديعة ، وظهرت في دمه وتصورات الكثر من المقديس ، وبوت الكثر من المعلم وكنت ثمة طوائف صغيرة من الخريجين تتلمس طريقها الى نور ... يستب بها الشعور بضرورة العمل لحبر هذه الامة وينبها عني من المصير السجول .

وكنت هذه الطوائف الصغيرة تنفت في حيرة و اضطراب تبحث عن مخرج أى مخرج في هذا التيه المتسع العريض .

الجهل يخيم على الشعب ... كل الشعب ، والفقر منتشر في أنحاء البلاد والتأخر يبدو في كل مرفى ... وأسبب الاصلاح غير موفورة ... بل معدومة والمستعمر اقباض على أجهزة الدولة واعاقى بس ، لا ينرك مسفيا لاحد والحرية عملة غير متداولة وغير معروفة فاني البصرية القصصة اتى فيها السودانيون في كبرى وما تلاها ، خلقت حالة من الذهول أنست جن الناس كل المعاني الكبيرة .

وكنت ترى الى ذلك التفاق المريع والدله للثكيرة ... والشعور

بالقصور ومظاهر الانذنية والضعف المخزى *** وكنت ترى الى جانب ذلك ألوانا من الكبرياء المهيضة واعزة اجريحة والكرامة المهذرة *** وليس بدع « أن الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذله وكذلك يفعلون »

بداية البفظة

ووجدت نفسي ذات يوم اتحدث الى صفوة من الخريجين عن الاحوال الجارية وتطرق الحديث الى وجبنا بوصف الفئة المستيرة في اقيام بعمل يفيد منه المواطنون وفكرنا وقدرنا وذهبنا نعالج الموضوعات اواحد تلو الاخر جريا وراء تحديد الهدف ونلمسا للسبل المؤدية اليه .

وكان الطريق اأمنا غير واضح *** بل كان شديد الابهام *** وشجعتني الاستجابة السريعة من هؤلاء الزملاء ، والتجاوب في الرغبات والآمال الى معودة الاجتماع بهم المرة بعد الأخرى .

كنا أشبه بالفضال في صحراء مقفرة مابين الجنين يناضل قوى وصعابا بقية الاهتداء الى واحة مجهولة .

وذكر ان اجتماعتي الاولى اقصر على الزملاء : حسين شريف وحيد السبد اميل واحمد عثمان انصافى ، رحمهم الله ، ومحمد على سليم أمد الله في أيامه . وواصلت هذه الاجتماعات تحت اسم (جمعية ترقية الاكل البلدى) عملا على التغطية والنوقى ليظن الرقباء اما نجتمع لأكلة شبيهة وحسب ، وهم لا يدرون ما يدور بعدها من حديث ونقاش .

ولعلنا ، وكثرنا مدرسون ، كنا نندفع بوحى المهنة لنقل مهمت في التربية والتعليم والارشاد من ميدانها الضيق في المدارس الى ميدان لوجب يشمل أكبر عدد من أفراد المجتمع .

فكرة النادي

ولم تلبث فكرة قيام ناد للخريجين ان استحوزت على أذهاننا وبشنا



السيد محمد الحاج الامين - (الر فون) المرزبوري محمد عثمان - السيد طه صالح السيد محمد الحسن زيات -
 السيد نورا هيم اسرائيل .

الفكرة هنا وهناك ... وقلهاها من جماعة الى أخرى ... فوجدت
الفكرة اقبالا واستحسانا في كل مكان ، وبعد ان استكملت اطوار
النضوج ، انتقلت الى حين التنفيذ . وتكونت لجنة تهيئية من الزملاء
حسين شريف ، وحمد عثمان القاضي ومحمد علي محمد سليم وشخصي .

وقد عهد اليّ والسيد محمد عبي سليم بصناعة انطلب الى الجهات
الرسمية ... فالتمت في الصيغة لهجة دبلوماسية تجمع بين اخفاظ على
الكرامة و مراعاة اوضاع القائم آنذاك ورغم هذا الحرص الشديد ...
انوفي والتدلف ... فقد علمنا ان لطلب عندما رفعه السكرتير
الاداري الى مجلس احكام العم لقي اعتراضا من بعض أعضاء المجلس
و تم تتم الموافقة عليه الا بشرط ، وهو ان يكون رئيس النادي مدير
المعارف الانجليزي أو من ينوب عنه . ولم نجد مناصا من قبول هذا
الشرط فقد كان من سياسا يومذاك ان تعمل على مد راة البريطانيين
لكي نحقق من هذا الطريق ما فرمى اليه من أعمال واختار مدير
المعارف نائبه المسير سمسون لرئاسة النادي الحرية ، واحسب اخريجون
وانتخبوا لجنة وهم السادة المرحوم السيد حسين شريف ، المرحوم
السيد محمد حاج الامين ، السيد محمد علي محمد سليم ، المرحوم
شيخ احمد عثمان القاضي ، المرحوم السيد ابراهيم اسرائيل ، السيد
محمد حسن ديب ، المرحوم السيد مه صالح ، الدرديري محمد عثمان .

النادي يرسل التاريخ

وانجها في نادي منذ اليوم الاول الى الاصلاح ، وبدؤنا من البداية
انك اذا أردت ان تصلح من أمور الآخرين فاصلح من أمور نفسك
أولا . وهكذا شرعنا في اصلاح أنفسنا نحن معشر الخريجين قبل غيرنا .
اننا نعزم تكوين ثواة جيل صالح ينحس المسئولية العامة .
وكانت ابدية ساذجة ولكن تتفق مع ظروف وامكانياتنا والمفاهيم
المعارفة يومذاك وفي داخل النادي ، احتفظنا نحن جماعة ترقية الأكل

البلدي بإربطتنا القديمة وجمعنا من أنفسنا لجنة مهتمة برعاية أسلوك
الشخصي للحريجين وإرشاد المنحرفين منهم ثم توسعت في تشكيل هذه
اللجنة حتى تمثل طوائف الحريجين حسب مهتهم * وكذا بينهم من
مدرسي اللغة العربية السيدان حسين شرف وأحمد عثمان ، بقاضي رحمهما
الله ، ومن مدرسي الانجليزية شخصي الضعيف ومن لمهندسين السيد
محمد علي سليم ، ومن نقضاة الشرعين الشيخ أحمد السيد القبيل
رحمة الله ، ومن الضباط البوزباشي أحمد عبد الله سعد رحمه الله وقررت
اللجنة ان تعطي مراما لسلوك الشخص على الوجه التالي : -

١٠ الدين - ١٠ الاجتماعيات - ١٠ الوطنية

وقد نجح من نجح ووسب من وسب * وكان المدرسون في مقدمة
الناجحين وسعدت هذه المقاييس على تحديد مستوى معين للسلوك
الشخصي للمواطن لصالح من الحريجين * * يحاول كل منا ان يحافظ
عليه ، كما كنا نجاهر كل فرد برأينا فجة على ضوء تلك المقاييس وما اكثر
من تقبل آراءنا واعتدل *

ومن حقني ان اقول أنه بالرغم من أن اعمل هذه اللجنة لم تل
مخططا من الذبوع والاهتمام فقد رسمت منهجا وأوضحت طريقه * ولم
تذهب مذهبها هدرًا * لقد كانت جزءًا من تقاليد السلوك العام الباقية
لأن * لقد رمينا بالحجر في البحيرة الراكدة فوجدت الموجه بعد الموجه
واتسعت لتشمل دوائر اكبر فأكبر *

وبين هذا بالامر بالمعبر *

المستر سمسونه

وكان المستر م. سمسون رئيس النادي رجلا رجب الصدر
واسع الإفق على شيء كثير من المرونة * فلم يكثر من الظهور وترك
للأعضاء السودانيين مهمة (تسيير) النادي دون أن يشترك معهم في قليل

أو كثير ، يرغم ان الفكرة الحكومية من وجوده كانت الرقابة على البعثة .
كانت رئاسته شرفية محضة لم نحس بها ولم تقف في طريقنا . وقد
بذل أعضاء السدى غاية جهودهم للمضى بالسفينة قدما الى الامام ، فلم
يعقبهم ارتفاع الاموج ولا انبهام المسالك ولا بعد المسافة . ان النفوس
الكبرى (وقد كن عدد من أعضاء السدى من هذا اطرار) لا تجبه
تشطهم الوسائل بقدر ما تحدد تشطهم الغيات ، ذلك ان احوال النيلة
تورد في هذه النفوس ما قاتها الهاجعة فتندفع لتصنع المعجزات .

وليس كثيرا ان تقول هذا الكلام على بعض أولئك الاعضاء فانهم
كانوا يخلقون من لا شيء أشياء ومن العدم مكانا .
ان الذى يوفد الشعنة المضيئة عظيم بلا شئ ولكن أعظم منه ذلك
الذى اكشفها .

وانضمي عهد المشرق سمسون في السدى بتعيينه في منصب في القبط
المصرى . ونلت منة حلال وجوده في مصره انجديب خطابا وديعا كثيرا
ما لاكت الالسن بعض عباراته . وقد جاء في هذه ارسالة قوله المشهور
« ودد لو اسى نسيب معكم مدة أطول لاذلل لكم الصواب التى
تعترضكم والتى أحالها لا تزال قائمة في طريقكم . ونى لارجو ان يلعب
هذا النادى دورا هاما في تاريخ بلادكم » .

ذاتية الخريجين

وبرزت ذاتية الخريجين شيئا فشيئا ووضح كياناتهم وأصبحوا عملا
مؤثرا في المحيط العام . ولم تعد حكومة السودان تستطيع تجاهلهم
كقوة جديدة داب خطر .

وكان الندى يمثل الخريجين في كل السودان .

وكان كل ما يدور فيه يتقبل بسرعة البرق الى أنحاء البلاد المختلفة
وكانت له زعامة حقيقية على الكثير من الخريجين . وكانوا كمنهم كمنه

واحدة حتى وقع الانشقاق المشهور في عام ١٩٣١ * ولم يكن هذا الانشقاق بدعا في امثال مجتمعا الناشئ المتحضر لقد كن نتيجة لمنافسة على العمل لخير هذه البلاد فمهما يكن الرأي حوله لقد كن خيرا كاللهب المضيء ينبعث من الاحتكاك *

جماعة الفجر

ولا بد من وقفة قصيرة هنا قبل الاسترسال في هذه الذكريات للحديث عن جماعة من الخريجين كان لها بعد ذلك طابع واضح على التفكير المسودني ، وكان لها مقدم ملحوظ في ددى الخريجين في الثلاثينيات واعنى بهم (جماعة الفجر) *

كن عرفات محمد عبد الله رحمه الله شديبا سودايب طموحا بعيد الامل كبير القلب عميق الفكرة ، وسع الثقافة * تنقل في الخارج حين ، واختير ودرس ثم جاء الى بلاده واجتمع الى نخبة من الخريجين وكون صداقات أصبحت بمرور الزمن ذات اصالة وعمق *

وكان هؤلاء لاصدقاء يشركونه في الرأي والمنهج والاسبوب وفي طسعة هؤلاء محمد احمد محبوب وعبد الحليم محمد ويوسف منصفي * سي *

وفي عام ١٩٣٣ أصدروا مجلة (الفجر) التي اطلق على جماعتهم فيها بعد اسمها واتسعت دائرة هذه الجماعة بصدور المجلة وانتشارها ، وسحر ما فيها من اتجاهات وافكار كانت جديدة على الناس وذات مذاق رائع ... سواء في لادب أو السياسة *

وكانت اصلة الوثيقة التي تربطني بالرحوم محمد عبد الحليم وابيه الدكتور عبد الحليم محمد وابن اخته السيد محمد احمد محبوب قد ربطت بيني وبين عرفات وأصدقائه فساهمت مساهمة متواضعة في اصدار تلك الصحيفة ، وفي تشجيع الجماعة وواصلت هذه المساهمة بعد وفاة المرحوم عرفات *

وكان السبب في مناصرتي لهذه الجماعة وعمى على تركيز مجلة التي اصدرتها ، يرجع الى اعتقادي بأن نشاط هذه الجماعة يخدم الحركة الفكرية عامة في السودان كما يخدم الاهداف الوطنية الاصلية التي كما نعمل بها بنشاء النادي . وهى الاهداف التي تتركز في خلق وعى قومى ومحاربة الحرافات ولاوهام وتجنيد القوى لقيام السودان حر مستقل .

معاوية محمد نور

وكننت مناصرتي لمجلة الفجر مبعثة من ايمانى بالدور لذي يستطيع ان يلعبه حملة الاقلام في يفاظ هذه البلاد وتقدمها ، ومن هذا الايمان نفسه نبعت العناية الخاصة التي اوليتها لان اخي المرحوم معاوية محمد نور عندما توسمت فيه بوعا مبكرا واستعددا أدبيا متترا .

بعد سفر معدوية الى الخارج ليتلقى تعيما غايب في عام ١٩٣٨ ونجح في الحصول على شهادة بكالوريوس آداب من جامعة بيروت . وقد بذلت كل ما استطعت من جهد ورعاية في سبيل دفعه الى الامام .

وكاتب كتيباته الرائعة القوية تنشر بالعربية في السياسة الاسبوعية «بلادنا» في الاحداث «أريب» وما أكثر ما هزت مقالاته در المعسدة المصرية في مصر ودور حكومة السودان ونوع اسمه ودن الاعجاب والتقدير من رجال الادب والسياسة في مصر وفي مقدمتهم الاستاذ العظيم عباس محمود العقدة . وعمل في الصحافة المصرية حيا ثم عاد الى السودان لكي يفيد بلاده .

أما كتيباته في الادب العربى والانجليزى فتملأ مجلدا لعل الظروف تسمح جمعها وصدورها في كتب خاص .

كانت لأمال فيه كبيرة ، لقد كن كثير القراءة دائم ، الاطلاع جيد الانتاج يشكو من .فه يفهم سرع مما يجب ، وكن لو أمهله القدر مرجوا

ان يؤدي خدمات جبيلة لهذا البلد لولا ان عاجله الموت في عمر الزهور
فذهب مبكيا على شبابه ونبوغه وطموحه ولم يتجاوز الثلاثين من عمره .
قد جاء قبل أوانه وذهب قبل أوانه * أسكنه الله فسيح جناته *

جريدة الصوت

وبالدافع الذي ساقني لتعاون مع أسرة « الفجر » ساهمت في
انشاء جريدته (صوت السودان) عام ١٩٣٩ و كنت عضواً في مجلس
ادارة شركة اسلام التي تصدر الجريدة * * * وكان المرحوم الشيخ احمد
السيد ،لقين رئيس مجلس الادارة وبالإضافة الى عضويتي بالمجلس
كنت أيضا مدير دار الجريدة ومطبعها لفترة تبغ ا خمس سنوات
أو تزيد ، وكان رئيس تحرير الصحيفة آنذاك الاستاذ محمد احمد
السلامي * وتبع ذلك أن صرت مشرفا عاما على التحرير ومخططا
للساسة العامة للصحفة *

كان الهدف من انشاء هذه الجريدة هو خدمة البلاد * * * وحفظ
الوزن في الرأي العام *

واعتقد وانا محلي فيما اقول ان (الصوت) قد قدمت خدمات
جبيلة للوطن كبه * * * لا للطائفة ،لختمية فحسب *

قد كنت طول سنوات الاستعمار متبرا حرا بحول فيه كبير
الموظفين الاحرار ويصولون وكنت سياستهم * * * قومية خالصة *
ولقد لعبت هذه الجريدة الحرب من المستعمرين ولقي محرريها
الضغط و الارهاب والسجن وكانت في أوقات حرب توأجه بكثير من
المتاعب ولكنها صمدت *

وكان أول رئيس تحرير للصوت هو الاستاذ محمد عسري الصديق
ثم تابع عيها ،الاستاذ اسمعيل اعني وعبد الله ميرعني ومحمد احمد
السلامي ، واحمد السيد حميد فكانت بذلك الميدان الاول لتدريب
أولئك الاعلام *

فكرة مؤتمر الخريجين

وفي النادي برزت فكرة جديدة وهي ان تكون هيئة تمثل كل الخريجين وتحدث باسمهم وكنت من أوائل من تحدث عن هذا الموضوع وكان ثمة اخرون يشاركوني هذه الفكرة .

وجرى نقاش كثير حوله وصت بعده الى شكلها النهائي باسم مؤتمر الخريجين والواقع ان الحاجة الى تكتل الخريجين وتسلمهم قيادة البلاد سياسية قد أحس بها كل من تهمة أمر ابيلاد والخريجين مع اختلافه اشكال ذلك التكتل وهذا ما يفسر كيف ان الكثيرين يقولون انهم أصحاب الفكرة وفي رأيي انهم صادقون موضوعا وان اختلفوا شكلا .

وتكونت لجنة تمهيدية لكتابة طلب التصريح بالمؤتمر من السيد احمد محمد صالح وشخصي ، وسهل الحصول على التصديق لأن البريطانيين كانوا يأملون ان تكون هذه هيئة جبهة جديدة تقف الى جانب السادة الثلاثة .

(على لميرغنى - عبد الرحمن المهدي - اشريف يوسف المهدي)
فكثرت المتاعسون على زعامة الشعب وينقسم للمواطنين ولكن خابت آمهم . وفما يلي نص الخطاب المذكور :

سعادة السكرتير الادري لحكومة السودان

بكل احترام يتقدم الموقعون على هذا بالخطاب التالي

تعلمون من غير شك ان حرجي كلية غردون والمدارس لاخرى الى هي أعلى مستوى من الكتب هم الطبقة المثقفة في البلاد وبهذه الصفة فان مصلحة البلاد لعبا تختهم عليهم ان يتعاونوا مع حكومة البلاد في كل ما من شأنه أن يزيد في تقدمها ورفاهيتها بالطرق التي يرونها مفترحة آمهم لذلك قرر هؤلاء الخريجون منذ شهر أن يعقدوا مؤتمرا في مدني الخريجين بأدرمان ليتخذوا الخطوات اللازمة للوصول للغة

المشار اليها آنفا وقد انعقد مؤتمر فعلا في اليوم الثاني عشر من شهر فبراير سنة ١٩٣٨ وحضره ما يقرب من ١٠ آلاف ومائة وثمانين خريجا منهم عدد لا بأس به من الاقاليم وانتخب ائوتامرون لجنة مكونة من ستين عضوا بالاقتراع السري وتخب هؤلاء الستون من بينهم خمسة عشر عضوا ليكونوا للجنة تنفيذية الدائمة . ونرفق مع هذا ، اقوانين واللوائح التي تعمل بموجبها هتان ، سجنستان .

ان واجبت كما يبدو تلخص في محيطين اساسيين . واضحين الاول في الامور الداخلية التي نهم السودان وحده والتي لا تكون من اختصاص الحكومة كالاصلاح الاجتماعي والاعمال الخيرية الخ . . . والثاني في مجال تلك الامور العامة التي تخص الحكومة او تخص سياستها ففي المجال الاول فانه سنعمل مستقيمين عن الحكومة ولكن بروح الصدقة والتعاون معها ووفق مقتضيات القانون القائم والاوامر المحلية لسائرة . أما في المجال الثاني فنرغبنا الصدقة هي أن توافق الحكومة على اتصال بها من وقت لآخر لتقديم لها آراءنا واقتراحات في هذا الصدد .

ليس غرضنا على أي حال أن نزعج الحكومة أو أن نخرجها أو ان نضغط عليها في قبول آرائنا بل الغرض هو أن تساعد الحكومة في سياسة التقدم التي ترسمها لازدهار البلاد وانت جميع موظفون في حكومة البلاد ونحب أن نؤكد لها اننا نقدر حق تقدير واجبا نحوها كمخدم لنا وواجبا نحو وظائفنا ومسئوبياتها في خدمة لمدنية (ومن جهة أخرى فان الحكومة) نعلم اننا لطبقه المثقفة الوحيدة في البلاد وبهذه الصفة علينا واجبت نحو وطنيت يجب علينا أن نقوم بها ونحب أن نؤكد اننا لا ندعي ، ان نبش البلاد بالمعنى المعروف ولا نريد أن نضع أن يعرف عنا اننا نقف ضد أي طائفة أو جماعة في البلاد . اننا نعلم أن في البلاد جماعات أخرى نعرف بأهميتها ووجودها ولا نريد أن تجاهل حقوقها أو ان تأخذ شيئا من هذه الحقوق ولكننا فقط نريد أن نسهم معهم في تقدم البلاد ورفهيتها .

انما تقدم بهذا الخطاب لاعتماد امر سخ يأتى كاتبة لثقة في
هذه البلاد يمكننا أن نساعده على تقدمها ورخائها وعلى علة الحكومة
في هذا الصغار انه يجب أن يقوم سنا وبين الحكومة الثقة المتبادلة
وحسن التفاهم والتعاون لصادق ونعتقد جادين ان هذه هي نية الحكومة
أيضا فقد رأينا أن الحكومة كانت في مناسبات كثيرة تستجيب لآراء
مده حرج وك. نعتقد أن لوف قد حان لأخذ هذه الآراء من
مجتمعين ذلك أجدي وانج البلاد *

وبعد هذا الخطاب تم التصديق عليه من قبل مؤتمر وعند أول اجتماع له
في عام ١٩٣٨ نجب هيئة تتكون من سنيين عضوا فأختبعت بدورها
لجنة تنفيذية من خمسة عشر عضواً (وكان لي الشرف ان كنت من بينهم)
ولها سكرتير دائم ورئيسة دورية تشمل كل أعضاء اللجنة على ان يتجدد
انتخاب الهيئة السنوية واللجنة التنفيذية في عيد الاضحى من كل عام *
وصارت أمور المؤتمر خلال العام سيرا حسنا وكان الائتلاف يشمل
الحريين وروح الوحدة نضهم وهكذا سارت الامور حتى تقدم
المؤتمر في عام ١٩٤٢ بمذكرته المشهورة طالبا تقرير مصير السودان
وهذا يكون المؤتمر أول هيئة شعبية طالبت بالحرية والاستقلال

كان لم تست نورع والتماس ان دبت بين الصفوف
مرفوق اس حجاب يكسور للسير على هذه الإدارة الوطنية الجديدة
على على مسرح السياسة سودانية *

محدث لا حرج وتعددت ادعاءات وحل مصر كلمته في السودانيين
فأجتمعا شمعاً كن باصر ربه وكل يسير في وجهة تخالف وجهة الآخرين
وبعث المطامع أهواراً سافرة سخرة *

وبقيت صفوة قليلة من ليس تؤمن بضرورة اتفاق السودانيين
وإعوده بهم الى حظيرة الحق والحيث والتمسح والتساند علما بأن البلاد
والمسعر مترين به السواكر تحتاج الى هذه الوحدة *

ووقفت وسط هذا الهرج والاضطراب والتخبط تلعب بنفسى
الحيرة ويعتصر فئبى الأسى ، حتى اتاح لى الله ان ألعب دورا فى تكميل
الاحزاب المعروفة آنذاك بالاحزاب الاتحادية ثم فى النقاء فيادتى الخصمية
والانصر من سيجبىء تفصيه فى موضعه من هذه المذكرات .

فكرتي في السلك الإداري

كتب في لدفعات الأولى من السودانيين الذين اختيروا للعمل بالسلك الإداري في وظيفة نائب مأمور + وكان تعييني في عام ١٩٢١ حين عينت بمديرية كسلا ، ودارت يوم من عام ١٩٢٣ (وكنت اذ ذاك بمركز انقصارف) استدعاني المستر س.ب. براون مدير مديرية كسلا فذهبت اليه ، وعندما قالته فل لي : لمعرفتي بك وبإخلاصك رأيت أن اقمك لي نقاش لأكل اليك القيم بمهمة جد دقيقة فأستفسرته عن هذه المهمة فحدثني بما يلي : -

قال : ان شركة القاش شركة انجليزية ومديرها هو المستر سكويث أحد أبناء رؤساء لوزرات البريطانيين ولم كانت هذه الشركة شركة تجارية وتعمل من أجل الربح فربما عملت الاهالي بغير الحق وربما قست عليهم وربما جرت من المستوين فيها تصرفات لا تتفق مع العدالة والمقابلة المروعة ولم كانت هذه الشركة انجليزية ومديرها وكبار موظفيها من بريطانيين فان لاهالي قد يعتمدون ان الانجليز احكامين قد صنعوا معهم هد صنيع فتسوء سمعة الحكومة الانجليزية بينما الحقيقة ان هؤلاء لموظفين البريطانيين لا يمتنون للانجليز احكامين بصفة رسمية ولا يتفقون الاوامر منهم وانما يتلقونها من رئاسة الشركة التي تحاول ان ترعى مصالحها وتستزيد من مكاسبها +

ولذلك فاسى أصلب منك ان تعمل في القاش وتعامل رجال الشركة من البريطانيين كما تعامل أي (خواجه) من الاعاريق أو غيرهم من المدنيين + وأضاف بانه قد تفاهم عني هذه الخطة مع الحاكم العام ، وأعطاء الحق في التصرف فاجبته : انني اقبل العمل هنالك وسأتبع السياسة التي رسمتها ولكنني أخشى ان أقوم بجراء فيجيتك الموظف البريطاني فتصدر أمرا بإلغاء ما اتخذت من اجراء أو فحاكمه وقبضه

لا تحيل ذلك ولذلك فاذني اشترط ان تدعو هؤلاء البريطانيين الذين يعملون في شركة القاش لديك وتطلعهم على حقيقة موقفهم ... واهم لا يسلكون من السلطان ولفؤد اكثر من بسكه أى مدنى آخر واهم يخضعون لما يخضع له غيرهم ممن يراولون لنجارة أو الزراعة في تلك المنطقة ، وبذلك اقدم على اداء وجبائى على بينة وثقة . فوعد بذلك وبالفعل قام بدعوة موظفى شركة القاش البريطانيين وتحدث اليهم في صراحة ووضوح .

والواقع ان الميستر برون كان من الانجليز القلائل الذين عرفت بهم روح الخير ، والشعور بالمسؤولية الادبية نحو من يحكمهم والارتفاع عن أوصار الاستبداد ولفطرسية والجبروت .

لقد كان في عبارة مختصرة انسانا يحس باحساس الآخرين ، وينأثر بظروفهم ويحاول جهد مدته ان يخفف عنهم عبء الحياة القاسية التي يعيشونها ولو في حدود .

وبعد تلك المحادثة مع المدير ، توجهت الى نقطة (المفودة) الى تخذتها مركزا لى بالقاش واقمت في كوخ من القاش كما يقيم بيبة الموظفين ورجال البوليس عارفا عن المنزل الفخم الذى هدمه سى رجال شركة القاش أولئك الذين كانوا يسكنون في قصور ذات حدائق غناء ويستمتعون بحياه مترفة ويعيشون في بذخ وراستقر طية .

وكان مقش الزراعة الممثل للشركة في نقطة هديليه ، انجيزيا متعجرفا يدعى هويلر . وهو رجل ضخيم لجسم مهيب الطلعة عريض السحنة يمثل في دقة الصورة اخيائية لماثورة عن أى استعماري في بلد أفريقي بدائى .

لم يطل بى انقام هناك ، حتى هرع اى الشيخ محمد محمد الامين ترك رحمه الله (فاطر عموم الهندود فبما بعد) وكان يعمل في ذلك الوقت شيخا من شيوخ الهندود ، وهو في حابة من الاضطراب والسخط.

تثير النفس وتهز المشاعر * وقد لاحظت بجبهته ضربة يسيل الدم منها
بدل على انه قد عتدى عليه * وقل لي . ان المستر هويلر قد ضربني *
فأرسلت في الحال للمستر هويلر (ورقة حضور) كالأجراء المتبع في مثل
هذه حالات * وعاد الى بعد هبة رجل البوليس الذي أرسلته بالورقة
وقل لي : ان المستر هويلر رفض الحضور بحجة انه مشغول *

وعندئذ دعوت جنديين من جنود البوليس وسلمتهما أمر قبض
ثم طلبت منهما الذهاب والمجيء بالمستر هويلر فاذا امتنع استعمل معه
القوة (وأحضروه كرهاً) وبعد قليل جيء بالمستر هويلر مقبوضاً عليه *

وكن منظرأ شهده له الاهالى المتجمعون حول المكتب لأن مقام
المستر هويلر في ذلك الحين كان مقاما اسطوريا يثل في اذهان المواطنين
سطوة الحاكم الانجيزي وشوذه وطفينه : ولقبض عليه بأمر من
سوداني مشهم كان فيه تحطيم لوهم كبير ما كانوا يظنونه ممكناً *

ولم يكذب يثل المستر هويلر أسمى حتى أقيت عليه درساً في طاعة
الاورامر الحكومية وينب له خطأه الفادح في عدم الحضور في الحال
كما جاء في ورقة الحضور وذكرت له في وضوح باتى قد استعملت
سلطه يحولها لى القانون *

وشعر الرجل بحرج مكره وأحسن بالورطة التى وقع فيها *
وتكاثرن حولى الوسامات والرجاءات من البريطانيين واسودانيين
ولكننى لم آبه لها ومضيت في تنفيذ القانون * وعينت موعداً للمحاكمة *

ويبدو ان الشيخ محمد محمد الامين ترك قد خشي من مغبة جرأته
أو تأثر بالوساطات فجاءنى رغباً فى التنازل *

فقلت له : ان لا يستعجل وهدأت روعه ونصحته ان ينتظر حتى
ينتهى التحقيق ويثبت حقه وله بعد ذلك ان يتنازل عنها تنازلاً
مقدراً منهم *

وبعد ان قصرت أن المسر هويلر المتعالي قد لقي الدرس الذي أردته وأن الاهلي قد أدركوا أن المسر هويلر يس فوق القانون ... وبناء على تنازل الشبح ووساطة ابوسطاء وافقت على الصبح ، وأفهمت المسر هويلر بأن البريطانيين الذين يعملون في شركة القش يجب ان يفهموا انهم والاهلي سوسية أمام تقانون ويجب عليهم لا يسيئوا للاهالي أو يظلموهم أو يتصرفوا معهم تصرف غير لائق . وكان هذا الحادث أثره في عقول الموظفين البريطانيين وفي عقول الاهالي .

في جبال النوبة

وفي عام ١٩٢٥ نزلت من كسلا الى جبال النوبة وقد اسعدني ان نظرت بثقة أبناء الجبل لاسي حرصت على معاملتهم على قدم المساواة مع غيرهم من أبناء القبائل الاخرى . ولاتى نظرت الى ظروفهم الخاصة من الجهل والتأخر وقسوتها ولاتى كمت دائم الاشفاق عليهم شديد الحذب على الضعيف منهم والضعف المتعب امسح دموعهم ما استطعت واضمد جروحهم ما امكن . ومن ذكرياتي بينهم ان جاءني ذات يوم واحد من رجال البوليس وبلغني ان أحد رجال البوليس قد لقي حتفه في جبال أمبري وان الجبل كله قد أصابه الهياج ، فاستعد رجاله بحر بهم ونادقهم ووقفوا وقفة الحرب ... وان فتنة جسيمه ربه وقعت وان دماء كثيرة ربما أريقت .

وقد ازعجني النبأ لان رجل هذا الجبل كانوا قد تمردوا في عدم السابق وسكن لثقتي في أبناء هذه المنطقة ولانه لم تكن هناك دواع للثورة لم اصدق المبالغة التي نقل الى به خبر مقتل رجل البوليس وقلت في نفسي لا بد ان يكون ثمة باعث آخر لهذا الهياج . وارتديت ملابس مسرعا وركبت جوادي ... واتجهت نحو الجبل وأنا لا أحمل سلاحا غير عصاة اهش بها على اجواد ولا يتبعني حرس ولا بوليس .

ومضيت حتى وقفت أمام جثة الجندي القليل ولاحظت ان سكان

الجبل كلهم قد لجأوا الى كهوفهم خوفاً من انتقام الحكومة • فدعوت شيخ لجبل وعندما حضر طلبت اليه دعوة الرجل القاتل وامنته على نفسه وانى ساكون عادلا معه •

• كنت اعتمد على ان النوبى لا يكذب وانه سوف يقول الحقيقة •
مهم تكن مريرة ••• واعلم ان أبناء النوبة الذين حضرو مقبلى للشيخ وأنا اعزل دون حراسة أو سلاح وشعروا باننى رجل سلام • فزال عنهم الروع وهدأت نفوسهم وجاءوا بالرجل القاتل •

وقلت له فى ثبات أوحنه دقة الموقف • اتنى لن اصيبك بضرر وسأكون عادلا معك فتحدث بما وقع فاجاب بان الجندى جاء للشيخ وطلب دجاجة ورضخ الشيخ لطلبه ثم ذهب لى الحنة وستلب لحدى دجاجاتى فى غستى واعطاها لجندى •

وعندما عدت وافضت الى زوجتى بالنبا هرعت لى لشيخ وسألته لم أحد الدجاجة ؟ فأطلعنى على الحقيقة وان الدجاجات الآن فى بطن الجندى طعام شهيا • وعمرت عن استيائى - وشعر الجندى بهذا الاستياء فصوب بندقيه نحوى • ولم يكن ثمة يد وهو يهم بقتلى الا ان رسل نعوه حربتى ، فردته قتيلا ولو لم اقتله لقتلى •

قلت للرجل اذا كان ما ذكرت صحيحا وانك لم تفعل غير ان دافعت عن نفسك فلن تعرض لما تخشى •

واصطحبته معى الى المدينة فلم يعترض أحد لعلهم باننى لا اكذب وانى ساكون عند حسن ظنهم •

ثم قدم القاتل للمحاكمة ونظرت فضيته وبرىء على أساس انه كان فى حالة الدفاع عن النفس •

وذكر اتنى فيما كنت فى طريقى عائدا من محل الحادث الى دلامى قبلتني أفواج من أبناء الجبال الاخرى من النوبة وهم يحملون أسلحتهم •

وعندما سألتهم عما أصابهم : جابوا انما سمعنا ان النبوة في جبل
أمبري ثدروا عيبك وقتلوا (العسكري يتاعك) ولذلك فقد اقبلنا
لنبركك •

وسرني هذا الشعور الكريم ثم شكرتهم وصرفتهم في هدوء •
وسم يرق للأجلى من وجدته من ثقة بين أبناء النسوة فقد كانوا
يريدون هذه الثقة لانفسهم دون غيرهم • اد قال لي أحدهم الوبه
يجولك كثيرا ووقلت لهم ان يهجمو معك مدينة الرهيم أو الأيخس
لفعلوا وضحك وعاء ما يقصده •

ومرعا ما نعت من هناك • وسكنى حمدن الله اد تركت أثرا
ربما استفدت منه اخواني من بعدي وكان نقلى الى مدرسة لبوئيس
محاصرا في قانون •

فكرية القضاء

كان عملي بمدرسة البوليس نهائية عملي بأسلك الاداري ،
وفي امدد التي قضيتها بالادرة (من عام ١٩٢١ الى عام ١٩٣١) أتيت
لى مدرسة لموسع في دراسة القانون وزاولت لاعمل لقضائية
في الحدود المحولة للادريين كتاب مأمور ثم كمأمور وخرجت من جري
في الادارة بمحصول مفيد .

وفي عام ١٩٣١ نقت الى السلك القضائي اذ عينت قاضيا جزئيا
وأُسند لي عمل اضافي هو رئاسة قلم الترجمة ، خلفا للسيد خليل
الخوري وهو سوري وكان عمله ان يترجم القوانين من اللغة
الانجليزية (التي وضعت بها) الى اللغة العربية وعند ما أوكلت
عني بسن قانونة ، والاحالة على المعاش ادخل في
رؤوس البريطانيين ان يعهد هذا المنصب لغير لسودني
بحجه ان هؤلاء غير كفاء في هذا المصمر . غير ان خليل الخوري نفسه
لم يكن من هذا الرأي . لقد كن منه في السودانيين حسنا . وبعد
لاي عاد الانجليز فقرروا ان يجربوا سودني في هذا المنصب على سبيل
اجبرية فد ، هم بصلح طلبوا اجنيا منه . فوقع الاختيار عني ***
وفد كنت في ذلك الوقت عمل مأمورا ومحضرا بمدرسة البوليس
بأمدرد (خلفا للمحضر السوري جاد غاوي)

ونقلت من مدرسة البوليس الى المصلحة القضائية في منصب
القاضي الجزئي ومستولا عن قلم الترجمة على سبيل التجربة حسب
ما اشترط لمدد سني .

وفي فترة ستة أشهر ابغ ذلك السوري لامين (خليل الخوري)

السكرتير القضائي بأن التجربة دلت على اتى كفاء للقيام بالترجمة القضائية *** واننى ست أقل منه هو شخصيا أو من غيره ممن يؤدون هذه المهمة *

وظللت فى هذا المنصب الى عام ١٩٤٥ حيث قضت ،ظروف ان يؤول الى احد المصريين (خيليل سالم) تنفيذ للاتفاقية المصرية لبريطانية (١٩٣٦) التى كانت تقضى باستناد المناصب التى لا يستطيع ملأها اسودانيون بانجيز أو مصريين *

والمصريون فى هذه الواقعة انه كانوا مضللين *** وكانوا من اضعف بحيث قبلوا هذا التضييل ، لأن تلك الوظيفة لم تكن مما يطبق عليه نص الاتفاقية *

وكانت الحكومة الانجليزية لا ترحب بوجود المصريين فى المناصب ذات الاتصال المباشر بالشعب *** ولما كان منصب رئيس قلم الترجمة من المناصب المنعزلة عن الشعب ينحصر شغله داخل جدران أربع ، فقد آثروه على غيره *** رغم أن شأغنه كن سودانيا وان هناك سودانيين اكفاء دائما يستطيعون ملأه * ان هذه احدى الهنات لنى اسجلها للبريطانيين *

ولم بحف المستر جوردان اسكرتير القضائي وهو يخطرني باخلاء مسئوليتي من هذا المنصب باحققة كرامة *** مع ابداء أسفه *

واستمر عملى فى ملك لقضاء حتى عام ١٩٤٦ بعد ان بلغت وظيفة قاضى المحكمة العيب كأول منصب تفدده سودانى وفى نهاية عام ١٩٥٢ ختمت حياتى فى هذا السك بالاحالة على المعاش *

وكانت الفترة التى امضيها فى الفصاء من الفترات المشحونة بالمسؤوليت ،مدققة الجسم *

فان مشاكل الافرد ثم العدل بينهم والوصول الى حكم يرضى الضمير أمر يحتاج من الانسان لى كل مدققة والى كل عصابه *

لقد كن غاية جهدي ان افهم الله يوم القيمة وقد أدت واحبي
تسما وارضيته بحق ولم اظن أحد •

وكنت وان طبق القانون اراعى في دقة وحذر ان يطبق ما سنه
الانسان ما حكم به الله خصوصا في جرائم القتل فلم احكم بالاعدام
على شخص ما دون ان أرجع في هذا الحكم لى خصوص الشريعة
الاسلامية حتى اذا ما ثبت القتل العمد حسب الشريعة الاسلامية
حكمت بالاعدام ثم اعلنته ولا يهمنى بعد ان صادق عليه المحاكم العام
عن طريق رئيس لفضاء أو لم يصادق •

تمسكت بهذا المنهج تمسكا تاما ولم اخرج عليه فط وكان الله
ناصرى وقد ذكرت (حكم الاعدام) بالذات لان الروح - أى روح -
ودعاه غاية وما يمكن التجاوز فيه في أمور الحياة على اختلافها جهدا
أو تقديرا أو اتباعا لعرف أو تقليد لا يمكن التجاوز فيه فما يتعلق
بالروح •

الحكم بالفرائض

القاعدة عند الكثيرين من لقضاء ان القرائن في حادثة قتل تدين
ولكن لا يصدر فيها حكم بالاعدام ، غير انى وقد اتخذت المنهج
الواضح الذى يفرق بينى من الله كما ذكرت آتيا تصرف في بعض قضايا
بوحى من ضميرى ، رغم عدم اعتراف القاتل وقضيت فيها بالاعدام ،
مخلف بذلك القاعدة المتعارفة •

ومن بين هذه القضايا قضية حكمت فيها بالاعدام مستندا على
القرائن المحكمة لحيث ان مثل هذه الشهادة لا تكذب وقد تكذب
شهادة العين وبعد ان جرى التنفيذ فيها في سجن لعمومى
بيورتسودن تحدث الى ضابط السجن يوم ذاك السيد الصادق
محمد الطيب هشام واجبرنى ان القاتل رغم انكره باستمرار فانه لما
ربد شقه ، وجاءت حخته لمعابيته وكانت تسكى ، طم البها أن تكف
عن البكاء ثم خاطبها قائلا : -

أما عندما ذبحته كنت عارفا ،فهم سيقننوني •
وبذلك توج هذا الاعتراف النهائي بالحكم الذي أصدرته مستهديا
بالقرائن وما كنت أشعر به شخصيا وأنا الفحص وقائع القضية واتنع
مجرياتها. •

الحكم أجل

وحدث ان حكمت على قانس في مديرية كردفان بالاعدام مستندا
الى قرائن الاحول و كنت مرتاح الضمير الى انه هو القاتل للنعمد •
ولكن لاستناف لم يؤيد هذا الحكم وبرأه بحجة ان هناك قليلا
من الشك ينبغي ان يعطى لصالح المتهم •

ودعوت للنهم عند صدور الحكم بالبراءة وهنأته ثم اطلقت
سراحه • عدا انتى كنت مطمئنا الى انه هو القاتل ، فكتبت في محضر
المنحة ما يلي :

ان العقاب عاجل وآجل وهذا في نظري مما اجله الله ليوم الحساب
وحفظ اسم •

وبعد مضي شهر من براءة امتهم جاء ابي واعترف امدى راته هو
القاتل • وسرد ظروف قتله كما سجلتها في محضر أسباب الاداه •

وأرسل الملف واعترف الرجل الى اسيد رئيس القضاء يوم ذلك
وما كتبه بمحضر القضية فرد على بقوله : ما عندي ما أزيد على
ما ذكرته ألت في ان العقاب في هذه القضية آجل •

أما البراءة فكنت رغم اعتراف النهم قائمة لانه بحسب القانون
لا تجوز محاكمة منهم في قضية واحدة مرتين فنرك القاتل لعقاب ضميره
وهو أشد وأمر •

محاكمة انجليزى بالجبل

و كنت قاضى مركز بورتسودان وجيء ببحار انجليزى اقرفه
جريمة السرقة وثبتت التهمة عليه •

وقد رأيت أن سجنه والباخرة على أهبة اسفر قد يلقي العقوبة على غيره وهم أصحاب الباخرة ، والعرامة لا تجوز في السرفة . وكان عمره يبيع حسب القانون استعمال جلد فحكمت بجده ونفذ أمامي .
وكان لهذا الحكم صدى استحسن بعيد بين المواطنين ولكنه من ناحية أخرى أدى لي امتعاض البريطانيين .

لقد نظرت إلى السجن من زاوية بينما نظرت إليه كل من الوصيين والانجليز من زاوية مخالفة .

وقد طمى الانجليز عما كاملاً . لقد أحسوا بأن كرامة الجنس الانجليزي قد مسّت فكان يفيدني منهم من يقبلني بوجه عابس حتى رئيس القضاء وكنت بلا شئ ، فابلهم بالمثل - اقول في نفسي منجياً المولى سبحانه وتعالى بقول القائل :

قليل الذي بيني وبينك عامر وبين العالمين خراب

ولو فطوا إلى انى لا احمل في احكامي غير سلاح بعدة ، ضرس بخشي الله ونسى لا أنظر إلى المتهمين أمامي باجسادهم أو ديانهم أو ألوافهم أو اقدارهم وانما أنظر إلى أعماهم ، واحكم بما يستحقه كل حسب نصوص القانون . . . لا تستصغروا من الامر ما استعظموا .
و و لم يركبوا رؤوسهم ويتعنوا في فهم و تمددوا لسكدر خيرا لهم ، ولا تسف على عيبتهم فقد كتب الرابع على كل حال .

وفي عام ١٩٤٢ وكتب وصيا المحكمة أمدرمان الجزئية رفع امرأة قضية على أخرى مدعية انها أودعتها مصاعاً من الذهب دون أجر وعندما حسمت عليه لم ترده لها مدعية ان المصاغ قد سرق منها في يوم حدده وعينته .

وعند نظر القضية اعترفت المنهمة بانها فعلاً تسلمت المصاغ من الشكية ولكنه سرق منها واستشهدت برجل البوليس الذي أبلغته بالحدث في جنه وقدم ابوس محضر تحريره للمحكمة ذكر انه

لم يهتد لى شىء يؤيد البلاغ أو يلغى ضوؤه عليه وإن لقاضى أمره بحفظ الأوراق .

وبما أن الامانة كانت بغير أجر كان على الشاكية أن تثبت أن المنهمة لم تتخذ الاحتياط العادى فى حفظ الامانة بل أهملته ولكن بلاطلاع على محضر البوليس وشهادة اشهود وأقول الشاكية رأيت انه بما أن المنهمة قد دعت أن المصاغ قد سرق منها فى وقت معين فطببت منها أن تدلى بما يثبت على الأقل حتمال حدوث السرقة ولما لم أقنع بما ادلت به المنهمة من شهادة قررت دالتها وأنا مرتاح الضمير هادىء البال . ولكى نصحت الشاكية أن تستأف الحكم لدى محكمة الاستئناف لأن ذلك يزيدنى إيماناً بحكمى أو برفعه عن عاتقى .

ولكن شاكية قالت إن لبس لديها رسوم الاستئناف فأعطيتها من جيبى الخاس ولكن يبدو أنها لم تقدم الاستئناف وبعد مضي المدة القانونية جاءتنى المحكوم لها تطلب التنفيذ على المنهمة وأمرت بذلك ولكن محضر المحكمة كان عاد ليقول لى ن المنهمة معدمة وأنه ليس لديها ما يحجز عليه . وعندما أبغت المحكوم لها بذلك قالت لى أن المحكوم عليها تتردد على دكان تاجر هندى بالسوق وربما كان لديها مال عنده . وكبت خطباً للتاجر الهندى أطلب فيه أن يورد للمحكمة أى مال لديه لمحكوم عليها .

وبعد مضي يومين جاءنى التاجر الهندى يقول لى . . أن المحكوم عليها لا تضع عنده أى مال ولكنها وضعت لديه هذه التمنطه (وقدمها للمحكمة) وعند فتحها وجدت بداخلها مصاغ تعرفت عليه الشاكية فوراً وقالت نه مصاغها المضاع . وفى الحال أصيبت المحكوم عليها بالدهول واعترفت بالجريمة . وقمت برد ذهب الشاكية اليها كما احلت المحكوم عليها لتحاكم أمام محكمة جنائية بتهمة خيانة الامانة . . . فسححت لله شاكراً الذى ألهمنى الصواب .

بينى وبين المفتش

وعندما كنت قاضيا فى أمدرمان أيضا حكمت على امرأة بالسجن لأنها كانت تصنع (العرقى) وكان السجن لا لغرامة هو الحكم الذى أصدره عادة على صانعى العرقى والتجبر الذين يبيعون فى السوق السوداء بأسعار أعلى من المقررة لاعتقادى أن استعادة الحكومة بالغرامة من أى من الجانبين فيه مشاركة ولو بطريق غير مباشر فى لائم .

وذهبت تلك المرأة الى المفتش واستعطفته *** وأثارت شفقه *** فاستجاب لها وأمر بطلاق سراحها *** ثم أرسل الى ملاحظ البوليس فى ذلك الوقت وهو السيد محمد خليل بشيك (محافظ الخرطوم الآن) .
يلغنى رجاء المفتش أن أبدل حكم السجن بغرامة .

فصب للملاحظ أين هى المرأة الآن ؟

فأجابنى بأن المفتش أطلق سراحها واستأثرت بهذا التصرف استياء شديدا وسلمت للملاحظ فى لحال أمرا موقعا عليه منى موجه به يقضى بالقبض على المرأة واعادتها الى السجن فوراً .

وتقد للملاحظ الامر فى الحال . ولم يكذب يبلغ المفتش نبأ حتى ثار واهتاج . وتناقلت المدينة النبأ (بأن الدرديرى كسر حكم المفتش) وما دروا ان المفتش هو الذى حاول أن يكسر حكمى

وشعرت ان الانجليز ربما حاولوا نصرة المفتش عن طريق قاضى المحكمة العليا وهو انجليزى - اذ ان لهذا القاضى الحق عند الاستئناف فى استبدال السجن بالغرامة ولهذا السبب ونظرا للظروف التى احاطت بالقضية مما قد يؤدى للنقص من مقام القضاء فقد اتصلت بقاضى المحكمة العليا تليفونيا وفصلت له الحقائق والملابسات ، وقلت له فى صراحة تامة بأن تدخل المفتش فيه استهانة بالحكم القضائى الذى أصدرته وسأجد نفسى نتيجة لهذا الوضع مضطرا للاستقالة اذا استبدل الاستئناف حكم السجن بغرامة .

واسنانفت المرأة ولكن فاضى المحكمة العليا يد حكم السجن
الذى أصدرته وكفى الله المؤمنين القتال *

ولعل مفتش المركز قد سغته الاشاعة الى تداولنها الالسن في
أمدردن عن وقوع خلاف بينى وبينه أو أوحى اليه قومه ان يححو أثر
هذه الاشاعة *** فجاءنى فى المحكمة فى وقت مبكر وقال لى : انك سبق
ان طلبت أرضا لمدرسة ارشاد ، فهل وجدتها ؟ فلما أجبتة بلننى قال لى :
تعال اذن نذهب سويا ونفتش على أرض تصلح لمدرسة وركبت معه
فى المقعد الاممى لسيارته *** وكان يتولى قيادتها بنفسه *** وطاف بى
فى كل منطقة اسوق وما حولها حتى وصلنا موقعا صادق عليه وهو
الموقع الذى تقيم عنيه مدرسة الرشاد الآن *

وعاد بى المفتش الى المحكمة ودخل معى القاعة - وشكرته على
قطعة الارض ثم انصرف وكاست لفته بارعة منه كفلت اربعة الاشاعة تماما
من ناحية ، ولكنها من ناحية أخرى كفلت أيضا لمدرسة الرشاد قطعة
أرض صالحة *

العقد الوطني في حق الوظيفة

انتهى عملي في السلك القضائي في نهاية عام ١٩٥١ وبذلك تحلت من قبودي كموظف تمنعه القوانين السارية من العمل السدسي السافر ، ولكن كان من حسن حظي ان تحت لي الظروف ان اؤدي لبلادي (واذ موظف) ما يصح أن يدرج في باب العمل السياسي اذ كنت له نتائج سياسية فيما بعد . كان هذا العمل المفيد في تصديق الوفود واللجان الرسمية لني شركت فيها مع مواطنين لا ادعى لنفسى فضلاً على أحدهم أو حقاً أكثر من حقه في الاعتزاز بما أديناه بلاده في ذلك المجال .

وكانت البداية متواضعة وليست أكثر من خطاب ، قد يكون عادياً الآن ولكنه لم يكن كذلك في زمنه .

ففي عام ١٩٣٧ كنت ضمن وفد الذي اختارته الحكومة من كبار الموظفين والاعيان ليسافر الى لندن لحضور احتفالات تتويج الملك جورج السادس ملك بريطانيا .

وكان الوفد مكون من السادة محمد عثمان الميرغني وصادق المهدي وعبد المجيد احمد ، الدرديري فقد وعبد الرحمن عبدون ومحمد صالح الشنقيطي والاميرالاي عبدالله خليل ، والشيخ أبشر حميده وشخصي .

وعند عودتنا تصادف أن أبحرنا على نفس الباخرة (كوثر) التي تقل الوفد المصري برئاسة نجاش باشا في عودتهم من منثريه ، بعد ان فرغوا من توقيع اتفاقية مصرية انجليزية حول المحاكم المختلطة .

وقد رحب بنا الوفد ترحيباً حاراً ، وانزلونا في ضيافتهم على الباخرة من جنوا الى مصر .

وفي القاهرة احتفى بنا اخواننا المصريون بتقديمهم طيب الذكر عمر

طوسون باشا و اقيمت من أجنا حفنة تكريم كبرى وقد اتابنى أعضاء الوفد السودانى فى القاء كلمة نيابة عنهم * قلت فيها بعد ان شكرت مصر حكومة وشعبا : « ليس للعاجز عن اداء الجمل الا الدعاء ، فاللهم يا من ربطت بيننا بأقوى أوامر المربى دما ودينا ولغة ونيلا ، تول جرحهم عنا ، وآثمهم عليهم بعمتك وهيبى لنا من أمرنا رشد » ، وختمتها بقولى « والى النقاء فى ميدان العمل المنتج لمصلحة القطرين الشقيقين » * وأحدث هذا الخطاب رغم ايجازه ضجة فى مصر والسودان *

أما فى مصر فقد وجد استنحسانا وقبولا وعلقت عليه الصحف وتداوله الأسس بالتقريب *

أما فى السودان فنقد واحد من الانجليز غضب كظيم شهدت آثاره عند عودتى * ومن معث الغضب عند الانجليز هو ما فهموه بانى ادعو لوحدة الجهد بين السودانين والمصريين والقيام بعمل وطنى مشترك لوحيده القطرين *

ولو اقع انه لا مصريون ولا انجليز فهموا المعنى الحقيقى المقصود من حصبى ، داتنى كنت ارمى ان يهيب الله للمصريين اتمام استقلالهم ، كما يهيبى لنا نحن الحصول على هذا الاستقلال ، والحمد لله المستجيب *

لجنة دستور الجمعية التشريعية

كنت أحد أعضاء لجنة النى عينت لوضع مشروع دستور الجمعية التشريعية ، وقد قبل ذلك الشعيين بأمل الحصول للبلاد على أقصى ما يمكن * ولهذا فقد كتب لى اقتراحات كثيرة لم يؤخذ بها وكانت لى عدة اعتراضات على ما اجازته ، لاغيبية * ويست هذ حاجة للاشارة الى ان من كانت هذه موافقة فى وضع المشروع ، لا يمكن ان يكون راضيا عنه حينم هذ بغير الاوضاع التى كان يودها لبلاده ، وهكذا كان موقفى الطبيعى فى جانب المعارضة التى اشتدت عليه عند تنفيذه من كل

ممكن * فآراد السكرتير الإداري السير روبرتسون أن يقلل من قيمة المعارضة ويضعها، بأنه تظهر للناس في العلن غير ما أبدته في داخل الحجرات منذ التشريع فانتهاز فرصة حديثه مع أحد لصحف وأدلى بها بتصريح دل فيه أن بعض المعارضين في تنفيذ المشروع سبق أن اشتركوا في وضعه ووافقوا عليه *

وقد نشرت جريدة صوت السودان تلميحات سير جيبس وقالت : « ولما كنا نعلم أن من بين الذين يعينهم السكرتير الإداري الأستاذ الدرديري محمد عثمان فقد أرسلنا نستفسره رأيه في هذا القول وعما إذا كان موافقا على اتفاق بوضعه الحالي ؟ فأرسل إلينا سيديته الإجابة التالية : -

« كلا هم ، لكن موافقا على ذلك اتفاق بل بالعكس قد سجلت كل اعتراضاتي عليه ، وتجدها مدونة في الكتيب الذي نشره مكتب السكرتير الإداري نفسه وإليك أمثلة مسمدة من لكتيب الرسمي المذكور .

نظر المادة (٥) فقره (٢) تجد اعتراضا مدونا به كالاتي (يقول العضو المخالف للأكثرية) الذي هو نا يجب أن يكون التصديق النهائي لعمريانية بيد المجلس *

ثم نظر إلى المادة (٨) التي اعترضت فيها على مبدأ التعيين وفنت بضرورة إجراء الانتخابات الحرة ، وذكرنا صراحة ما نصه « أن الحاكم العام بتعيينه أعضاء للجمعية قد يشتمل بأنه يريد بذلك التعيين أن يرجح كفة حزب معين لم تكن له أغلبية وذلك علاوة على أن التعيين يشافي ومبدأ الانتخابات الحرة . لسي يجب أن تكون » * وقلت « أن شعور الناس نحو ذلك التعيين سوف يهدم المشروع كله »

ثم أنظر المادة (١٨) حيث عارضت ذلك التكوين وسجلت مانصه : « يجب أن يكون الأعضاء المنتخبون أغلبية مطلقة على الأعضاء بحكم وظائفهم » *

وقد اقترحت أيضا - وان لم يدون ذلك الاقتراح - ان يكون
أساس توزيع عدد الاعضاء لممثلي المديرية على نسبة أعلى بكثير ،
لتنقسم لا بعدد السكن حتى يتسنى وجود أعضاء صالحين لتشريع .
هذه بعض اعتراضاتي التي دونت باسم (العضو المخفض للأكثرية)
لا يسمى الشخصى تعجب للأمانة . ولكنى وقد سئلت لم أر معر . من
اعلاها ونسبته الى صاحبها بدلا من . ولعمركم تعتقدون بعد معرفتها ان
هذا هو اقصى ما يستطيعه فرد وقف وحده الى جانب رغبهم وقوفه
الأكثرية في الجانب الآخر » .

وانكشف الفناع بعد نشر هذه الاجابة الواضحة . ولم يعد
للاشاعات والتحريضات من مجال ولم يستطع السكرتير الادارى جوابا .

لجنة الجنوب

وفي سنة ١٩٤٥ كوت الحكومة (لجنة الجنوب) من حضرات
السادة مكي عباس ونصر الحاج على والمرحوم محمد عثمان ميرغني
والدرديري محمد عثمان .

وكانت مهمتنا وضع تقرير عن الجنوب .

فزرنا الجنوب مركزا ومركزا ومدرسة مدرسة ، داخل لاجراش
وخرج الاجراش ووضعنا تقريرا شاملا ضافيا ، وصفنا فيه ما هو حادث
بالجنوب بصراحة تامة وبالاخص أعمال المبشرين هناك وقدمنا التقرير
لمكتب السكرتير الادارى فلم يشأ سير جيمس روبرتسون السكرتير
الادارى كذلك نشره وقد نه ورقة اتهام بحكومة ولبس بتقرير
وأذكر أن وجدت في مدرسة لوكا الوسطى بالاستوائية نامذ جنوبيين
ممثلين حماسا وجب للاتصال بخوانهم الشماليين فيما تحدثنا اليهم
قلوا . . .

ماذا تريدون ؟ قلنا جئت للتعرف بكم ولاخذ بأيديكم .

قال لنا بعضهم بعد ان تحي بنا عن المفتش الانجليزى المستر كين جانب : خذوا وانظروا - وصعدنا على كراسية مرسومة بها شجرة كبر - ثم أشار الى شجرة أمام المدرسة وقال : هذه هى وبها مدرسة وكنيسة وقال ان هذه الشجرة كما قل لنا الانجليز هى السجن الذى كان يحجر تحته آباؤنا المسترقون الذين كان يأخذهم الزبير باش وكر كساوى لبيعهم فى الشمال * أما الآن فهى مدرسة وكنيسة *

ثم قال لنا أولئك الجنوسون وقد قلنا للانجليز ليت الشماليين أخذوا كنا لانهم ألبسو الدين أخذوا من اناسا الملابس وعلموهم أما انهم فقد حبستهم هنا كحديقة الحيوان حفاة عراة تنفرون عينا نهم وزواركم !

ومما يستحق الذكر اتنى أطلعت من قبل لما كنت مأمورا بجبال السوية على كتاب صغير مكتوب بالانجليزية موجه لرؤسة منظمات التبشير بنندن يتهم فيه سكرتير عام المبشرين بالسودان ، حكومة السودان بانها تعزل سير التبشير فى الجنوب واستدل على ذلك بأمور ثلاثة : -

أولا : - ان الانجليز يرسلون الى الجنوب مأمير (حكاما) سودانيين وهؤلاء مسلمون وبطيعة وضعهم يتصلون بالجنوبيين ، ويفهم الجنوبيون ان الاسلام هو صاحب السلطان فى البلاد *

ثانيا : يصرحون للتجار (الجلابة) بان يدخلوا الجنوب ويأتى كل واحد يحمل شنطتين (خرج) مقروتين احدها مسوءه بدينه و لاخرى بدينه ... يفرشون تجارتهم فى النهار ويختلطون بالجنوبيين يبيعون ويشتررون وفى الليل يفرشون ديههم فيقيموا الاذكار ويقف حولهم الجنوبيون ويعطونهم الشاى والأكل *

ثالثا : يأتى للاجزة أولئك الذين يبعوا فى الشمال من الجنوبيين وتجندوا بالجيش يختلطون باخوانهم و يقيمون الاذكار خاصة اذكار

(لغتسية) ويهدمون في اجزائهم القصيرة ما يبنياه في أعوم .
وعلى هذا قد قتل الانجليز الجنوب أثر هذه الشكوى وأصبحت
المديريات ثلاثة لا تدخل الا بتصريح .

ومن هنا بنضح ان قتل الجنوب لم يكن لمصلحة الجنوبيين وانما
لمصلحة اميريين وسجاية لشكوى البشرين في السودان بحكومة
البريطانية في لندن .

لجنة الدستور

وفي عام ١٩٥٣ عينت عضو في لجنة استايلي سكر قاضي المحكمة
العليا يومذاك لتعديل دستور الحكم الذاتي ممثلا للجبهة الوطنية ...
وكانت وجهة نظري في قبول عضوية هذه اللجنة هي ان نعمل على وضع
دستور صالح فان لم نستطع اعتزبه وان شاء الله هدمناه ولم يكن
مذهبي هو عدم الاشتراك مع المستعمر في أي عمل ولو جاء مبرا من
كل عيب .

وكانت اللجنة مكونة من ممثلين لحزب الامة وحزب الجمهوري
الاشراكي والجبهة الوطنية والسترهكسويرت ممثل سكرتير الاداري .
ولم يكن للمستر استايلي يكر أو المستر هكسويرت صوت في اللجنة .
فلم اجتمعوا لخير لجنه فرعية باسم لجنة تدقيق الدستور من امسادة
محمد احمد محجوب ، عبد الرحمن علي طه ، عبد المجاد احمد ،
محمد احمد ابو سن وشخصي .

وحادث لحظه حاسمة ثار فيها خلاف حاد بين أعضاء اللجنة .

ذلك انني رأيت خلال لنقاش ان العاء مصر لمعاهدة ١٩٣٦
واتفاقيتي ١٨٩٨ - ١٨٩٩ قد انهي لحكم الثنائي قانونا فلم يبق
الا اعلان انهاء هذا الحكم والبدء في اتخاذ الاجراءات لاستقلال
السودان استقلالاً تاماً ، كان محل لجنة دوية محل رأس السولة لمدة
قصيرة يقرر بعدها السودانيون مصيرهم . وقلت ان من مصلحة

السودانيين استغلال هذه الفرصة الذهبية ليفسروا الالغاء من جانب مصر لصالحهم ولا يلتزمون بما ربطت به مصر الالغاء من اتحاد بين القطرين ، والمداة بالملك فاروق ملكا على مصر والسودان * وان يعتبر الحكم الثنائي منهيًا وبذلك لا يكون لحكم العدم ممثلاً لمصر أو لبريطانيا أو لكليهما وإنما هو (حاكم بواقع الحال) لى ان تفرغ اللجنة الدولية التي اقترحتها من داء مهمتها *

وكان بعض الاعضاء يرون الاعتماد على وعود بريطانيا في منح السودان الاستقلال ولكنى دفعت هذا الرأي بأنه ليس في يد بريطانيا من الناحية القانونية ان تعطى السودانين استقلالهم تمشياً مع المبدأ القائل (وفي الشيء لا يعطيه) *

ورفض لحدب الانجيزى في اللجنة الاخذ بهذا تفسير بحجة ان العاء الاتفاقيات كن من طرف واحد ولن نقيده به بريطانيا * وكان واضحاً ان البريطانيين سوف لا يقبلون هذا التفسير لان في قبوله تأثيراً على وضعهم في قنال السويس ذلك الوضع المستمد من معاهدة ١٩٣٦ التي أعدها المصريون وحدهم *

واصررت على موقفى اصراراً تاماً *** وعندما وجدت ان كل بقية الاعضاء لم يروا رأيى لم أجد ماصداً من لانسحاب من اللجنة وفي أثناء تعطين اللجنة جاءنى رسول من قبل المستر روبرت هاو الحاكم العام لمسودن آنذاك يدعو الى اجتماع به فحددنا ميعاداً ثم قبلته وقد بينت له في هذا الاجتماع وجهة نظرى بكل صراحة ووضوح *

رض سير روبرت عن موقفى وحاول ان يثنيى عنه ولكنى رفضت سرحرح فيه شعرة * ولما هممت بالانصراف سأسى وهل من رأيك أيضاً ان نوقع على هذه الاتفاقية خاصة بكم النى اقترحها المصريون لتقري مصركم فقلت نعم يجب ان نوقعوا عليها دون تردد هل لماداً قلب لسبب واحد بسيط وهو انكم لما كانت مشكلة السودان مطروحة أمام هيئة الامم في امريك بليك سكس وكان النقراشى باش

يتكلم عن علاقة السودان بمصر ذكرنا حق الفتح ورابطة الناح المملكى
المصرى وقف مندوبكم لدائم السير الاسكندر كادوجان وقال ان
السودانيين وحدهم حق تقرير مصيرهم بمحض ارادتهم فصفق له
الحاضرون المحبون للحرية والسلام ونهض مندوب روسيا ليصافح
مندوبكم لأول مرة على هذا القول السليم والآن ان لم توافقوا على هذه
الاتفاقية فماذا يكون موقفكم أمام العلم اجمع فسكت الحكم العام
قليلا ثم ودعته وانصرفت * وبعد فترة كن يورنى فى كل يوم بعض من
اخواتنا السودانيين وغيرهم لافدى بانسراجع ولكن دون جدوى *

وأخيرا دعيت لجنة تعديل الدستور بكاملها للاجتماع وحضرت هذا
الاجتماع وشرحت وجهة نظرى من جديد ، واعنت وقوفى عدها وبعد
قش صاحب طرح رأى للتصويت فأيدته الاغلبية * وطلب بعض الاعضاء
تأجيل الاجتماع ولكن لاغلبية رفضت * * * ورفضت اللجنة وتحطم
الدستور المقترح * ولا يدري الا الله ماذا كان يكون مصيرنا الآن
لو لم يحطم ذلك الدستور واكتفى السودانيون بالحكم الذاتى تحت
النفوذ لانجليزى (فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا نهدى لولا ان
هدانا الله) *

قتل طفلى

وتعليقا على هذه الخاتبة قال المستر هو كسويرت عبرته المشهورة *
« لقد قتل الدرديرى طفلى » ويعنى بالطفل الدستور المقترح *
وانى حينما أثبتت هذه الحقيقة لا أريد من وراء هذا الاثبات
النفع الشخصى وانما تقرير وقع تاريخى تعززه السجلات الرسمية *
والتاريخ امانة فى أعناقنا * * * ومن حق الاجيال المقبلة ان تتسقى
أنباءه سلبة ولست باندى ينسى ، ان أى كلمة أدلى بها فى هذه المذكرات
سأكون مسئولا عنها أمام الله *

في مجلس جامعة الخرطوم

منذ ان تأسست جامعة الخرطوم وانا عضو بمجلسها ، ثم عضو في
لجنتها الدائمة الى ان انقضت عضويتي في الهيئتين تلقائيا بتعييني عضوا
في مجلس السيادة .

لقد كنت لى في شئون التعليم الجامعى مواقف كثيرة انا راضى
عها . . . ولكن موقفا واحدا كذ له في نفسى مكثه اسمى . ذلك هو
موقفى من سياسة أخذ الطلبة للجامعة .

وعندما اقول موقفا لا اعنى به موقفا من موقف الصراخ والرئيس
أو لونا من ألوان هذه البطولات التي يسودها البطش ولجبروت أو
حادثا خرج للصحف والأذاعات أو دور الشرفهز المتقاعد من تحت
أصحبها . . . فتلذ حالات لا أميل اليها فاذ يطبعى عدو الضجة
والانفعالات وأعمال العنف والديمجوجية . . . أحب ان اعالج اخطر
المشاكل في همدوء الوثائق المطمئن . . . ولو امكن مع حسن النتائج
الا يسمعها القريب منى فعلت ذلك .

ولو لم يكن هذا الموقف يتصل بموضوع عام يهم تسجيله لتاريخه
ولكى يعرف الخلف ما فعله السلف ، وان هذا السلف اعطى أقصى ما لديه
في حدود امكانيته اداء لواجب الوطنى لما ترددت في دفن هذا الموقف
في زوايا انسيان .

أما هذا الموقف فاذكره فيما يلى : —

لقد جرت عادة البريطانيين في السودان كسياسة عامة أن يخرجوا
من المدارس آلات مكتبة تعينهم على الحكم . . . وكان القبول في
المدارس محدودا بحدود حاجة الحكومة للموظفين لا للعلم وحده .

ان الانجليز لم يكن يهمهم التثقيف العام وانما كانت تهمهم مصلحة
الحكم البريطانى في السودان وتسيير دولاب الاعمال فيه .

وعندما انشأوا الجامعة أخذوا يطبقون هذه السياسة ... وقد
وضع في صلب القانون فقرة تقول ان أخذ الطلبة بالجامعة بقدر ما يمكن
للحكومة ان تستخدمه من الطلاب ، بمعنى اذا اريد استخدام عشرة
أطباء في عام ١٩٤٠ وكانت مدة دراسة خمسة أعوام أخذ عشرة طلبة في
عام ١٩٣٥ .

ومنذ أول عام لي في عضوية مجلس الجامعة وهو أول مجلس لها
برئاسة السير نيوبولد لافرار دستور الجامعة تقدمت عند قراءة القوانين
اطالب بالتعديلات مستبدلاً عبارة حاجة الحكومة بعبارة حاجة البلاد ...
أي أن القاعدة في القبول تكون حاجة البلاد لا حاجة الحكومة وحدها ،
وذلك في حدود الميزانية بطبيعة الحال .
ولكن الانجليز الذين كانوا يضمرون الحسد من التقدم العام
الممثل في زيادة عدد المتعلمين وفي كيفية هذا التعليم ، لم يوافقوا
على هذا التعديل .

كانوا مصرين على الاستمرار في تطبيق سياستهم لانهاء جزء من
خطة واسعة يميها الفهم ، الاستعماري وينطلبها وضعهم كمستعمرين لكي
تعينهم على البقاء اطول أمد في الحكم بحجة عدم توفر المتعلمين . كما ان
الشعب المستجير لا يخضع للاستعمار وقد ظلت في كل عام ثمر هذا
الموضوع في قوة ، وفي اصرار .

وكانوا — أي الانجليز — يرفضونه في سياسة وصرار وقد كنت
مع الحق وكانوا مع الباطل . ولا بد للحق ان يتغلب في النهاية . وكان
ذلك يوم أن ساعدتني ظروف معينة في تقرير المبدأ الذي وقفت عنده
لا أحيده . فقد وضحت قنة عدد الاطباء والمهندسين بالنسبة لتكاثر
الخدمات العامة واضطرت الحكومة الى استيراد الاطباء من الخارج
بأضعاف مرتبات السودانيين ، فوضح في ادهان البريطانيين ان النطور
أصبح أقوى منهم ، وأقوى من سياستهم ، كما ان تكاليف تعيين أجانب
قد أسقطت اعتذارهم بالميزانية ، فاضطروا مرغمين في اسهية لتعديل

الفترة التي ظلل اطالب بتعديلها زمنا طويلا . فقد أصبح القبول في الجامعة بعد هذا النص غير مقيد الا بقيود المؤهلات وميزة الجامعة نفسها .

لحظات مرمية لا تنساها !

تمر بكل نسان لحظات حرجة لا ينساها ولو مرت بسلام ، وقد مرت بي لحظات حرجة كثيرة بالقلبات ولجبال ولكنى لا أود ذكر ما مر بي من هذه اللحظات لا تلك التي لها صلة مباشرة بالوطن فمن ذلك على سبيل المثال و بذكرى أقول انه .

ثناء الحرب العالمية الثانية كان من حظ السودن أن كان لايطاليون هم المكلفون من قبل (هتلر) لغزوه وقصفه بالطائرات وكنت أنا في ذلك الحين قاصيا ببورتسودن وكان واجبي لوضي مع المسئولين من رجال الحكومة مرافقة الطائرات المغيرة بمنطقة المطار والبيزين ، لم أتردد في قبول ذلك الواجب الخطر بصدر ملؤه الايمان بالله وحب الوطن ودان يوم جاءنا سرب مكون من خمس طائرات ولما سمعت صفارة الانذار بقرب وصولها هرعنا ومعى أحد رجال البوليس ، ولم وصدا المطار كابت الطائرات تحلق فوق رؤوسنا ، فلجأنا الى خندق بالقرب منا ، ولما أفرعت الطائرات حمولتها وانصرفت خرجنا لنفقد ما أحدثته ، جاءت خمس طائرات أخرى على أعقابها ولما لم يكن بالقرب منا خندق استلقينا على الأرض حتى رمت الطائرات قذائفها وانصرفت ، ولكن سرعان ما اعقبها خمس طائرات أخرى فانطرحنا على الأرض ولما هممنا بالقيام جاءت خمس طائرات أخرى حتى كمل عندها خمس وعشرين سائرة ونحن نتربق الموت في كل لحظة ورفيقى لبوليس يندب حظنا مردداً خطأنا بالخروج من الخندق الأول ولكن كم كانت فرحتنا عظيمة عندما رجعنا أخيراً بعد التفقد للأهداف التي رميت ، ومررنا بالخندق الأول الذي كنا فيه من قبل وأسفنا على عدم بقائنا فوجدنا قبيلة في بطنه وقد انهار ، فذكرت سعادتي قول اللطيف الحبير : « عسى أن تكرهوا

شيئا وهو حر لكم ، وعسى أن يحبوا تبت وهو شر لكم والله يعلم
وانتم لا تعلمون »

فسمع ذلك رضى قال بصوت عدل أيوه والله صدق الله العظيم .
سقت هذه قصة لأذكر تلك الأيام العصيبة التي مرت بالسودان
وهب أهله كلهم حريون ومكيون يقنوب ملؤها الايمان وحب الوطن ،
ومن ذلك أن أهالي الديوم بالشعر عصوا أمر المفتش باخلاء أماكنهم
وقبوا الى أين المفر ؟ وسيحفظنا الموت أيما كنا وصمدوا في أماكنهم
يهيئون روع العائلات حتى مرت العاصفة ، هل القارئ لا ينسى انى
ذكرت في مقدمة هذه القصة أنه كان من حفد السودان ان كان عزوه عسى
أيدي الطليان . لانهم كانوا في الظاهر فاشيين في الحرب ، ما لضعفهم
أو لانهم أجبروا عليها فكأنوا غير جادين ، لانهم بالرغم من ظهور
الأهداف لا سبب تلك تنى بلينا بالبر الشرقي حيث البضائع التي
لا يخطئها العدو ويراهها الأعمى ، ومع كل هذا فلم تصب بضر يذكر
و ذات يوم جاءت طائرة واحدة يهودها ألماني - كما علمت بعد وحلق
كسر ولم ره أنه قسلة حتى سقطت طائره في سحر فأسر واحد الى
مستشفى وكان في أثناء سيره بنصف ييب ويسرا ويطر في اسعرب
وهو يقول : أهذه بورسودن التي يقول الطيارون الايطاليون أنهم
دكوها دكا . وهي بهذه الحالة العامة ولم أر فيها أثر يد عن شيء
من ذلك ! ! وفي تلك الأيام العصيبة لما كانت الجيوش الابصالية باقرب
من العدين ، كانت هناك قوات ايطالية كبيرة تحاصر كسلا وتوالى
طائر بها الحلق فوق سمائها .

وكان الانكيز في ذلك الوقت قد بلغ بهم اليأس و غنوط شأوا
بعيد حتى صرح لى قائد القوة الاسكندرية في بورسودان ان الالمان
وهم الاذن بالعلمين ينتظر دخولهم في السودان في أى وقت وكاد يحدد
الايام هذا من جهة ومن جهة أخرى قال لى مسئول بريطاني - عن
بورسودان أن لديه أوامر ينتظر صدورهم - بعد قليل - باخلاء المدينه
وخروجهم منها وتسليمها الى بعد أن تصل تلك الاوامر من الخرطوم ،

وقد عشت من سباق حذبته أن الحاكم العام وهو السير اسبورت ساميز يرى إخلاء السودان ، لأنه ليس به قوة تدافع عنه ولكن الظاهر أن وزارة الخارجية ، لبريطانية هم توافق على ذلك ، وبمحض توفيق الله تعالى ولطفه - كتب الله النصر بجيشه الصغير والسحب العدو إلى قواعد ملوغة أو كرها - وصدق وعد الله القوي : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة يادن الله والله مع الصابرين » •

وقد علمت من تلك المصادر التي كنت أتحدث معها في ذلك الوقت محيذا فكرة الحاكم العام بجعل السودان مفتوحا ، لحماية أهله من شرور الحرب التي لا طاقة لهم بها ، فقال محدثي : الحقيقة أن الحاكم العام كان يرى أن خروج الأجليز من السودان فيه حماية لأهله أولا وأنا سنعود إليه فنفتحه من حديد ، وأنا على خروج الطيان لقادرون ، وأن هذا انفتح الحديد يهيئ تلقائيا انه فيه الحكم الشئى ونصح وحدنا في السودان مع السود من تلك كانت حطتهم ومكرهم » والله خير لم كربين «

في الميزان السياسي

جمعية اللواء الأبيض

كان السبق التاريخي يمتدحى اذراج العديد عن ملتقى جمعية اللواء الأبيض في الفصل السابق من هذه المذكرات ذوقعت حودى في عام ١٩٢٤ وقد كنت آنذاك في سلك الوظائف ، ولكننى رأيت أن الترتيب لموضوعي يجعل الحدث عن جمعية اللواء الأبيض أذى في هذا الفصل لأنه عن تنوعى وليس شكيف رسمى .

كانت حركة جمعية اللواء الأبيض أساسا من صنع المصريين ، هم الذين تقو بالفكرة في أذهان السودانيين فعمل السودانيون على تكوينها والمصريون هم الذين هموا لها الجو وهم الذين عضدوه بنفودهم ومساعدتهم ودعايتهم وأساليبهم في التنظيم والتكتيك والتدبير غير لنا نحن السودانيين الذين كنا نهدف لتحقيق مصلحة سودانية دون غيره عملنا على تحويلها لخدمة السودان واعتبرنا أن المصريين كانوا يعملون معنا لمصلحة مشتركة هي اخراج الانجليز من وادى النيل .

وقد كان لنا مبدأ معروف وهو أننا محكومون برجلين أحدهما قوى والثانى ضعيف *** وعلينا أن نسمع بالضعيف للخلاص من القوى فإذا ما أخرجناه التفت على الضعيف فتخلصنا منه بالود أن كن للود سبيل .

وكننت أنا أعمل لجمعية اللواء الأبيض في القضايف وكسلابلتعاون مع البكباشى محمد صالح حبريل ، واليوزباشى عبدالله بكر ، واليوزباشى عبد الدائم محمد وآخرين وكانت صيغة التقسيم التى نعرضها على كل من يرغب في الانضمام بينا كما يلى : —

(قسم بالله العظيم انى بعد سماع ما تقولون لا أبوح بسر حتى الموت غلبت به أو لم عسى . * * * * *)
الذين أخذوا القسم على يدى الشيخ أبو شامة عبد محمود وكان قاضيا بمديرية كسلا يوم ذلك * * * * * كما أخذ على القسم فى تلك المنطقة كثيرون من رجال القضاة وزعماء طرق الصوفية والاعيان وغيرهم ممن كانوا يتجاربون معنا فى مهمهم وندفعهم وطنيتهم الى مكافحة الاستعمار بربطائى .

والحق يقال بأن هذه الحركة كانت بالنسبة لكثيرون من السودانيين أشبه بالمهس يشع فى ليلة حالكه ، ظلام . * * * * * وقد تعللت الدعوة لجمعية بين كل الطبقات وفى كل الطوائف .

وكن ، لا تسبب اليها شرفا أى شرف ومما هو جدير بالذكر أن المنتمين الى هذه الجمعية كانوا كالحلالي لا يعرف بعضهم بعض الا قليل . * * * * * وكن هذه لتتظيم هو السبب الرئيسى فيما يدور أحد من عند السلطات حول من كان ولم يكن من أعضاء تلك الجمعية .

ولو لم ينسرع المسرعون فيتعجلون النتائج ، قبل بروج حركة ، ولولا ما حدث من خيانة غير متوقعة من لجهة الاجنبية الوحيدة التى كنا نعول عليها كل استعوين ، وثق فى كل ثقة * * * * * بولا ذلك كله لكان لهذه الحركة العظيمة خطرهما وأثرهما فى التبدير باستقلال السودان .

حزب الجبهة الوطنية

فى غضون عام ١٩٥١ رأى السادة خلف الله الحاج خالد وميرغنى حمزه وعثمان حسن عثمان ومحمد احسن دياب أن الواجب الوطنى يقتضيههم تأليف حزب يعبر تعبيرا تاما عن وجهة نظرهم السياسية وعن أسسهم فى العمل السياسى وهو أسلوب عرفت به وتميز بالحر والى الزاعة . * * * * * وكنى ومن تألف الحزب لا أزل فى سبك القضاء ولكننى على أبواب التقاعد بالمعاش والتحرر من قيود الوظيفة . * * * * *

موكنت على اتصال بهؤلاء الاخوان وعلى علم تام بما اتهموا اليه من فكرة
تكوين الحزب ومبادئه وأهدافه ولهذا كان الشيء الطبيعي ان انضمت
اليهم بمجرد بدء اجازتي النهائية في ديسمبر ١٩٥١ واشتركت في نشاط
السياسى للحزب .

٢- الحزب السياسى فى باريس

وفى يناير عام ١٩٥٢ عقدت هيئة الامم المتحدة أحد اجتماعاتها فى
باريس فاندركت الاحزاب السياسية لسودانية دون سابق اتفاق ان هذه
فرصة لكل منها لاعلان وجهة نظره بشأن مصير السودان . فسافر الى
هناك وفد من حزب الجبهة الوطنية مكونا منى ومن ميرغنى حمزه وسافر
فى نفس الطائرة الدكتور سيد احمد عبد الهادى ممثلا للحزب الجمهورى
الاشتراكى وفى باريس اجتمعوا بممثلى حزب الامة وكان السيدى أمين
النوم وزين العابدين حسين شريف ويمثل حزب الاشقاء السيد ابراهيم
المفتى وكفوا جميعا قد سبقونا الى هناك . وفى ذلك الاجتماع الموقر
تساءلنا : هل يستطيع أى حزب منا ان ينفذ برنامجه والانجليز موجودون
بالسودان ؟ فأجاب الجميع بالنفى .

قلنا اذن فخطوتنا الاولى هى ان نتفق على خراج الانجليز ...
وان نتفق على تقرير المصير عن طريق استفتاء حر محايد . فوجدت
الفكرة من الجميع استجابة كاملة .

ننا ونحن خارج الحدود ، حيث الهواء الطلق كنا نلتقى كمواطنين
سودانيين أحرار ، نحس باحساس واحد وواحد وواحد ممثلو الاحزاب صياغة
ما اتفقوا عليه لحل مشكلة السودان الى السيد ميرغنى حمزه ووضع
فى كتيب لعرضه على هيئة الامم وقد قدم ميرغنى بالمهمة خير قيام وطبعت
نسخ كتبه ووقع جمع ممثلى لاحزاب السودانية على ذلك كتيب



في أروقة الأمم المتحدة بباريس من المينى — السيد مير شفى حقو ه — السيد رفر الله خان — المدرس يبرى

ووزع على اعضاء هيئة الامم فرحبوا بما جاء به من مبادئ ، وكان كل من يقرأه من أعضاء الوفود يقول لنا : الآن وضع لنا ان لكم قضية تريدون حلها حالا عادلا .

ومما يجدر بالذكر لقد ساعدن مساعدة فعالة خلال وجوده في باريس رجلا أولهما السيد ظفر الله خان وزير خارجية باكستان والسيد فارس الخوري ممثل سوريا في الامم المتحدة * أما المندوب الدائم الانجليزى لسير قلاون جب فكان يقابلنا ببرود ونرد عليه بالمثل !

وكان ظفر الله خان وفارس الخوري يقدمان لنا النصيحة الخالصة وكانا يدعوان لقضيتنا ويعملان على انجاحها وكان السيد ظفر الله خان يدعونا للاجتماع به في غرفته وقد صرح لنا بأنه كان يفضل الاجتماع بنا هناك حتى لا يثير غضب الانجليز على باكستان فيخزلونها في مطالبته بكشمير * وذات يوم بينما كنا تتغذى معه قال السيد ظفر الله خان : لقد سألت المستر يدن وزير خارجية انجلترا قائلا اذا كانت نتيجة الاستفتاء في السودان ضدكم فهل تخرجون ؟

فأجاب ايدن مستنكرا : لماذا لا نخرج ؟ قفقت له اذا كنتم تنوون ان تفعلوا ذلك حقا فان مشككة السودان سوف تكون سهلة الحس ؟ فكدن هذا مما قوى ايماني بان حل قضية السودان في أيادي أيديته وأنه رهين بالتفاهم على رأى واحد .

وللتاريخ وحده ، اقل فيما يلى المذكرة المشتركة التى وزعها ممثلو الاحزاب على أعضاء الوفود ونصها هكذا : —

في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٥١ نشر الوفدان السود. بيان الممثلان لجبهة الكفاح المشترك ولحزب الامة ، والموجودان آنذاك بباريس ، وثيقة اعما فيها الموافقة على اقتراح اجراء استفتاء حر كحل للمشكلة السودانية . وقد تضمنت هذه الوثيقة المبادئ والشروط العامة لاجراء الاستفتاء .

عقب ذلك ابرقت الجبهة الوطنية المتحدة الى هيئة الامم بتأييدها

لحلق مبدأ الاستفتاء * وعلى أثرها لحق وفد الجبهة الوطنية المتحدة
بالوفدين الآخرين بدريس لموصلة الجهد المشترك لعرض قضيتهم على
هيئة الأمم المتحدة * ٢٦

وهي الوفود الثلاث التي تجمع إليها أغلبية الرأي السوداني
الساحقة بمختلف زعانه السياسية وقد جتمعت في مظنة واحدة باسم *
« الوفد السوداني الموحد » ندعو الرأي العام الدولي في مختلف دوائره
الى تأييد فكرة الاستفتاء والمعاونة في العمل على تنفيذها كالحل الوحيد
سبب العدل للمساكنة السودانية *

واحابة للنسائل اصدار من كثر من دوائر وفود الهيئة وصحافتها
رأى الوفد السوداني الموحد ان بعد مذكرة عن خطوات والاجراءات
العملية انى حازت موافقة اعضائه الاجماعية باعتبارها الأسس الرئيسية
الهامة والمسيرة للطروء الحاضرة في بلادهم لتنفيذ استفتاء حر يكفل
مصالح السودنيين على السواء في تقرير مصيرهم دون خشية من ضغط
أو اغراء من احدى دولتي الحكم الثنائي أو أى مصدر خارجي آخر *

وهذا نص المذكرة :

ان غرض الوفد السوداني من تقديم هذه المذكرة
هو اقتراح الرأي العام الدولي مثلاً في ساحاته الحرة ، بنطق وعدالة
الاستفتاء ، وامكانية تنفيذه في أمن وسلام ونظم كأداة دستورية سليمة
مقبولة من جميع السودنيين على اختلاف عقائدهم وميادئهم السياسية في
مستقبل بلادهم فضلاً عن ان السودنيين في هذا المنهج ، يشبتون أنهم في
مجموعتهم قد وصلوا الى درجة من الرشد السياسى تؤههم للسيطرة
على شئونهم ليسيروا ببلادهم قدم في موكب الرقى والحضارة والسلام ،
ولياخذوا مكانهم بين الأمم التي تساهم في تحقيق المثل العليا للأمم المتحدة

اجراءات الاستفتاء :-

الوسائل المقترحة لضمان مصححة اسودانيين في اجراء استفتاء حر

لنخصها فيما يلى :-

أولاً : الانهاء فعلى الناجز للنظام الحاصر في السودان وذلك
تعيين لجنة من هيئة الأمم المتحدة مقبولة بسودانيين من الدول الاعضاء
المحاصرين « تبشر سلطات ومستويات دولتي لحكم الشائى حاصرين
لمسارعين (بريطانيا ومصر) ، لباية عن هيئة الأمم المتحدة للقيام بتنفيذ
ومرافقه اجراء الاستفتاء »

ثانياً : تتولى هيئة الأمم المتحدة ضمان الامن والسلام في البلاد
أثناء فترة الانتقال ، وحتى يتم الحل النهائي للقضية السودانية عن طريق
الاستفتاء »

ثالثاً : يعهد الى لجنة هيئة الأمم المتحدة ، لاختصاصات
لمحددة الآتية : -

١ - تأليف حكومة سودانية مؤقتة مؤلفة تمثل ما أمكن
لاحزاب السياسية القائمة الآن وسيروها من وجهات النظر للاضطلاع
بابعاء الادارة العادية للبلاد ، تحت اشراف اللجنة الدولية لي ان تتقل
سلطات نهائية لممثلي الشعب المنتخبين انتخاب دستورياً حر »

٢ - على هذه اللجنة الدولية بالتعاون التام مع الحكومة
السودانية أن تهيب الظروف والاجهزة التي تمكن السودانيين من التعبير
اصريح عن آرائهم الحرة في مستقبل بلادهم في أقرب وقت ممكن »
هذه وتسلم هذه الظروف والاجهزة ما يأتي من الاجراءات
ضمن غيرها : -

(أ) جلاء جيوش غير سودانية « بريطانية ومصرية » وكل
عناصر ومومعين غير السودانيين في قوة دفع السودان (عسكريين
ومدنيين) »

(ب) جلاء جميع الموظفين غير السودانيين وعلى الاخص الذين
يسبقون مناصب الملك السياسي والبوليس والامن العام والقضاء وأي
موظفين آخرين في أي منصب أخرى غير هذه قد يرى في وجودهم تأثير

في حرية التعبير عن ارادة الشعب الحرة خلال الاستفتاء •

(ج) تعديل أى قانون أو لوائح أو عرف قائم مقيد للحريات الشخصية أو العامة كحرية التعبير والكتابة والاجتماع أو قد يؤثر في حرية الاختيار •

(د) يعهد لهذه اللجنة لدولية متعونة مع الحكومة السودانية ان يستوثق من ان اختيار الشعب الذى يتوصل اليه بانجم الوسائل السلمية اتى تراها مناسبة ينفذ بأسرع ما يسكن حتى تنتقل اسلطات النهائية الى مشى الشعب المختارين اختيارا حرا وصا للانظمة الديمقراطية الصحيحة المتبعة •

مذكرة تفسيرية : —

ان مقترحت هذه الاجراءات والخطوات العملية لتنفيذ لاستفتاء الحر تعتمد على أساسين هما من لاهية بمكنة عظمى : —

١ - الانهاء الفعلى لوضع الحكم الثنائى للقائمة الآن •

٢ — اجراء استفتاء فى جو كامل الحرية يقرر فيه السودانيون مصير بلادهم وفقا لرغبات اكثرية اسودانيين الحقيقية •

(أ) مما لا ريب فيه ان النزاع الحالى بين طرفى الحكم الثنائى ينقض دعائم هذا الحكم من أسسها ، فضلا عن ان السودانيين لم يعترفوا فى أى يوم من أيام حياة ذلك الحكم بالدستور الذى قام عليه ولم يرتضوه كأداة حكم شرعى أو صالح لادارة بلادهم ولم يدعوا فرصة تمر دون الانهاء عليه والمطالبة باجماعهم مع اخلافهم فى تكليف الوضع الهائى لمستقبل بلادهم على انهائه قورا كما ، نه لا شك فى ان النزاع بين دولتى الحكم لثنائى قد نشأ منذ موبد تلك الاتفاقيات التى بنى عليها فهو ملازم لطبيعتها وجوهرها ولذا فقد كن على الدوم مثار مشادة بين الطرفين كانت مصاحح البلاد فى أكثره فرصة لتلك النزاعات والسودانيون فيها

كبش المداء ، وما زال هذا الحال يتدرج من سيئ الى أسوأ حتى بلغ
القصة في سنوات الاخيرة الى ان تتوض كليا في آخر الامر بالغاء مصر
لاتهقيتي سنة ١٨٩٩ ومعاودة ١٩٣٦ .

ومن ناحيه أخرى فقد نما الوعي سياسى بين السودانيين فنيقظوا
لحقوقهم والزاماتهم الوطنية ، وعدوا أشد ارهاقا وحساسية للضرر
العاجل الذى يلاحق مصلحة بلادهم في حاضرها والاضطراب العظيمة التى
تهدد استقرارها في مستقبلها من جراء هذا الموقف الحاسى ، فما من
سودانى حر ولا أى أحد يحسن بأية غيره في نفسه على مصلحة السودان
وتقدمه وخيره ، يستطيع ان يتسامح في استمرار هذا النظام القائم لاي
مدة اطول .

هذا ، فنحن السودانيون على خلاف مذاهبنا ومبادئنا السياسية
قد عقدنا الحنصر ووطننا العزم ، لنعمل بكل ما في وسع الجهد الانساني
ليضع حدا عاجلا لهذا بحكم الحالى البغيض ، ولنسيطر على شؤوننا
بأنفسنا . ان الاخطاء التى ارتكبتها ادارة السودان الحالية والاضرار التى
أحدثتها بمصاحبه غير عابئة بأبسط حقوق الانسان الاساسية ، وذلك
بررع بذور الشقاق والفرقة - عامدة - بين طبقات الشعب ومناطقه
وطوائفه من عنصرية واجنسية أو طائفية دينية أو عشائرية أو قبلية ،
كمشكلة جنوب والشمال ، وطائفتى الاصحار والغنية ، والدينين ،
والمثقفين وزعماء القبائل ورؤساء الادارات الاهلية (نظام الحكم غير
المباشر) ، كل ذلك مع الفصور الكبير وضعف الفاحش في خطط
وتنفيذ السياسات التقدمية قد خلف في نفوس السودانيين طابع قويد
عميق من سوء الظن بالادارة الحالية كانت نتيجته تلاشى الثقة تماما في
حسن نوايا هذا العهد كله أو اخلاصها أو صدق مقصده في تقدم
السودانيين تقدما جديا للوصول لحكم بلادهم حكما حقيقيا صادقا في
أية فترة معقولة من الزمن .

لكل هذه الاسباب رحب السودانيون جميعهم على اختلاف أحزابهم

سياسية ووجهات نظرهم القومية بإلغاء الحكومة المصرية لانتخابي
لحكم الثنائي والمعاهدة • ٥

والسودانيون يتفون جميع الآن صف واحدا يعارضون ويقاومون
أي مجهود بدله الصرف لبريطاني لبعت الجبة من جديد في هذه
الامتيازات والمعاهدة أو إعطائها أي سند شرعي أو قانوني أو إنساني
تسند عليه غير مجرد القوة الفعلية العاشية التي تعتمد عليها وحده
الآن • ومن ناحية أخرى فإن صدار الحكومة المصرية لمراسيم الحصنة
بالسودان التي صدرت نتيجة إلغاء المعاهدة لا تقيد جميع السودانيين
بأي حال من الأحوال •

٣ إجراء استفتاء حر في جو طيق تحت اشراف هيئة الامم
المحددة والضمانات اللازمة والرقابة الملائمة من لجنة دولية غير متحيزة
من بين أعضائها المحيدين •

لقد أبدى السودانيين بقطع النظر عن "أوانهم السياسية ومبادئهم
الحزبية موافقة جماعية وتأييدا باتا لمبدأ الاستفتاء لحر لتقرير مصير
بلادهم كما أعلنه وزير الخارجية المصرية في اجتماع هيئة الامم المحددة
العام وأقره سكرتيرها العام على انه محل العلى المنصف المعقول
لمشكلة السودان •

قوة سودان لمحدد الذي يمثل كل أحزاب السودان القديمة
الآن ، وتسند الاغلبية اسحفة للرأي السوداني العام ، اذ قبل و"يد
مبدأ الاستفتاء وطالب بانجاز فور ، فاننا فعل ذلك مفتحا بان طريق
الصحيح رغم الخلاف بين سودانيين في تكييف مستقبل بلادهم النهائي
وتحديد علاقاتها المقصدة مع كل من مصر وبريطانيا حسب مبادئهم •
نما هو اتفاق جميع السودانيين على وجوب تقرير المصير باتخاذ الطرق
المنظمة السلمية وبالوسائل الدستورية الديمقراطية الصحيحة •

على انه نعتقد اعتقدا حازما ان الاختيار الحر لا يمكن ان يتم
في ظل الادارة الحالية والظروف التي تسود بلادنا الآن والتي عملت لها
هذه الادارة جهدة باستمرار ومثابرة طول مدة حكمها لا تزال قائمة ،

إذ لا يمكن أن توصف هذه الإدارة حتى من أكثر المؤيدين لها حماساً
 أيها الإدارة محايدة أو غير مغرضة في هذا النزاع فهي بدريتها وعسها
 ومبولها ، تنضج لأقل الأساس بصرها بلامور أنها كانت تعمل دئية وحاهدة
 بكل نفوذها وسفونها على أدائها سيطرتها على مصائر هذه البلاد لأملول
 أمد ممكن والوصول في النهاية إلى تسوية تتفق مع مطامعها وأغراضها
 نسوة يعارضها سودانيون جميعاً بكل قوة . وسوف تقاومونها لآخر
 نفس من حيثهم . ولا محالة في أن صرار لإدارة الحالية على سياستها
 هذه بأساليبها الحالية سوف يسرع عن جعل نتيجة الأسفهاء أمراً مفروغا
 منه قبل حدوثه . ويصبح بكل أمل في تسوية سلمية دون سفك الدماء
 وإشاعة الفوضى . وقد زاد هذا الموقف تعقيداً إلغاء تفقيتي سنة ١٨٩٩
 ومعاهدة سنة ١٩٣٦ من جانب الحكومة المصرية والأصرار على بقائهما
 من جانب بريطانيا ومهما اختلفت نظرة أعضاء هيئة الأمم المتحدة إلى
 عمل الحكومة المصرية هذا فلا مفر من الاعتراف بأنه قد ترك السودان
 في موقف شديد جداً . فهو يترك الحاكم العام الحالي بسطات فعمية
 دكتورية أكثر من قبل . لم تعد تركز إلى سند شرعي أو نسائي
 أو قانوني . بل يجعل من السودان مستعمراً يحتة يكون أي جراء فيه
 نحو تقرير مصير البلاد صادراً من جانب بريطانيا وحدها وبطل دائماً
 موضع الطعن بأنه أبرم تحت تأثير ضغط والارهاب، ويقوم سودانيون
 بسبب ذلك في نزاع بريطاني مصري بما قد ينجم عن هذا من الأضرار
 بالعلاقات الودية المستقبلية مع مصر وحتى مع بريطانيا نفسها . وتحت
 هذه الظروف فأننا لا نرى بداً من سلوك الطريق الذي قدمناه آنفاً لحل
 المشكلة السودانية وهو الطريق الذي يجمع الوفد السوداني الموحد بعد
 دراسة وتأمل عميقين على أنه الطريق السليم لعمل الوحيد الذي يحقق
 أتباعه حلاً سلمياً لفضية البلاد بقر تعادله وانصفه كن الأمم بما فيها
 مصر وبريطانيا .

نراء ونتمام

إلى ضيهر العلم لحر ، إلى أممه المحبة للسلام العميلة له ، إلى

صحافته الرشيدة ، المعبرة عن آماله وأمنيه . اليكم اتم خصوصاً يا أعضاء
الهيئة الدولية الموقرة ، يامن نصبتكم أنفسكم لتحقيق مثل العالم العليا .
اليكم جميعاً تقدم طالين العون والتأييد والتعصب . في اثاره مشككتنا
أمام الهيئة الدولية لتتولى قضيتنا فتحلها وفق لمبادئ العداة ، وحقوق
الانسان الاسامية التي أكدها هذا المجتمع الدولي العظيم . . . اننا
موقنون ان هذه الهيئة الدولية انما تستوحى مبادئ عهدده ، والرسالة
التي تعهدت الاضطلاع بها عندما تمد لنا يد العون وتولى اهتمامها
الصادق أمة تناضل في سبيل الاعتراف بكيئوتها لتتبوأ مكانها بين الامم
المحبة للسلام اننا لموقنون ان هيئتكم الموقرة لن تسمع الى دولتي
الحكم التناهي كطرفين في النزاع في هذا الامر الخطير دون ان تصغي
الى صوت السودان الحقيقي ، ذلك الصوت الذي يعبر عن مستقبل أمة
وآمال شعب ، يجتاز اخطر مرحلة في حياته واحرج فترة في وجوده .
واننا ليملكنا أشد الاسى ويحز في نفوسنا امض الالم ان نرى جنوحا
في هذا الميدان الدولي . في اعتبار قضية بلادنا بعرض المساومة بين
الدولتين المتنازعتين مع انها قضية الحرية والرقى عشر ملايين من الانفس
البشرية يريدون ان يتبوأوا مكانتهم بين الدول الاخرى كفة بها حقوقها
ومرامياها وكيئوتها .

اننا نستثير في العالم الحر ، كل البواعث الانسانية البيلة التي
تدفعه لتأييد قضيتنا العادلة ، وسعطلب اليكم اتم يا أعضاء الهيئة الموقرة
العمل على اثاره قضيتنا في هيئتكم ، حتى تتخذ الخطوات الياحياة
الفعالة للفصل فيها وانهاء حالة التوتر والقلق التي تتجاذب أطراف حياة
المجتمع السوداني الآن .

ان الوفد السوداني المتحد حينما يتقدم الى الهيئة الدولية لبسط
قضيته ولعرض الظروف العصيبة التي تحيط بلاده في هذا الميدان
الدولي انما يتبع الطريق السلمي الذي يدعو اليه العالم اجمع اليوم ،
وسيوصل جهده في اتباع هذا الطريق ما وسعه ذلك حتى تنال بلاده
بقيتها وتحقق حريتها .

وقد عقد السودانيون ، لعزم ووطنوا النفوس على مو صلة هذا الطريق اسليم السمي ، فهم يرجون الا تضطروهم الظروف الجائرة القاسية لبسلوكوا مكرهين غير طائعين طريقا آخر قد تراق على جوائبه ادماء وتنتشر بسلوكه ، لقوضى ويشع البؤس بين طبقات شعبه الهاديء الامين ، هذا الشعب الذي يأبى الا أن يعيش حرا أو يموت كريما أيما . هذا وقد أصدرت الاحزاب المذكورة بعض ملاحق لهذه المذكرة كلا بسفرده ولا أجد في الوقت الحاضر ضرورة لاثباتها اذ تكاد أن تكون جميعها تكرارا أو توكيد لما جاء في المذكرة الاصلية .

الحزب الوطني الاتحادي

أثناء وجودي في مصر عام ١٩٥٢ رأيت ان الواجب الوطني يقتضي ان أحاول ادماج الاحزاب الاتحادية في حزب واحد وهذه الاحزاب هي مؤتمر الحريجين ، مؤتمر السودان ، حزب الاشتقاء بجناحه ، حزب الاتحاديين ، حزب وحدة وادي النيل ، لجناح اليميني من حزب الاحرار الاتحاديين وحزب الجبهة الوطنية . وقد لعب المصريون دورا مشكورا في توحيد هذه الاحزاب والحيولة دون تبديد الجهود .

وكن تلك المرحلة من مراحل الحركة الوطنية تقتضي مثل هذا التكتل لاني اعتقدت ان كثرة الاحزاب وتعددتها منفذ يدخل منه الاجنبي بالاضافة الى ان في هذا التكتل اتقاء للاصطدامات بين أحزاب وهيئات يجمع بينها هدف سياسي عام مشترك . وكان هذا شعور جميع قادة تلك الاحزاب الا انه كانت هنالك عقبات تقف في طريق هذا التكتل ... وكن في مقدمتها بل أهمها رئاسة ذلك الحزب الواحد .

وفي الفندق الذي كنت انزل فيه مع السيدين خلف الله خالد ومبرغني حمزه زارني في منتصف الليل السيد محمد نور الدين ، وتحدث اليّ بحضورهما في وجوب حسم هذا الخلاف حول الرئاسة لكي يتم انصهار هذه الاحزاب .

ورشحني مشكورا لتولي رئاسة الحزب * فرفضت *** وقت له
ان هذا الرشبح ربما زاد من شقه الخلاف *

وفي الصباح اعلنت بكثيدين واخذت اقرب بين الاراء المتعارضة **
ولم ازل ابذل جهدي حتى تم سائر تكوّن حزب برئاسة السيد
اسماعيل الازهرى واتفقنا بتسميته باسم الحزب لوطنى الاتحادى *

الصلح بين نجيب وجمال

همسى وأنا بصبر أمر الخلاف الذى وقع بين لواء محمد نجيب
رئيس الجمهورية المصرية فى ذلك الحين واليكبرى جمال عبد الناصر
نائب الرئيس فى عام ١٩٥٣ *

و كنت مدفوعا لتسوية هذا الخلاف بعمول ثلاثة ذكرتها لهم
فى مقدمتى *

أولها واقدسها : - اتباع لقوله تعالى - انما المؤمنون أخوة
فأصبحوا بين أخو بكم *

ثانيها وأعدلها : - ان المصريين كانوا قد تدخلوا فى مسائلنا الخاصة
الداخلية وأصلحوا فيها ما أصلحوا *

ثالثها واحكمها : - ان كل ما يحدث بمصر ينحدر الىنا ففى
اصلاحهم اصلاحنا *

و كنت صريحا لما ذكرت هذا الكلام فى مقدمتى لكل من
نجيب وجمال *

وعقدنا عدة اجتماعات تنقيية الخلافات وازالة أسباب الجفوة **
ووضع خطوط ثابتة للتعامل والتفاهم فى المستقبل *

وكان آخر اجتماع بمنزل اسوء نجيب *** حيث حضر السيدان
جمال وصلاح سالم وقبل جمال بوساطتنا وارتضى ما وضعنا من خطوط
*** وتضافعا وتبدلا عبارات لمجملته وود *



من اليمين الرئيس جمال والمرددري

وكان يصحبنى الدكتور أمين السيد .

وخيل الى يوم ذلك ان الامور بين الرجلين قد سموت ، وحل
الصفاء محل الجفاء والوفاء محل الخصاء .

« لى هذا اقف ولا احب ان انا من هذا حيث بعد ذلك .

ولا ادرى ما هى الاسباب التى أدت الى تدهور الموقف بعد .

ان تاريخ هذه الفترة من حياة تقطر المصرى عندما يسجل تسجلا
« سوف يصير ما خلفى غمسا ووعود ما عدا قيسه .

فى بيت الرئيس جمال

وسلى ذكر ما تقدم ذكرى ان فاض على احدى هذه اجتماع آخر
نه الى مع الرئيس جمال عبد الناصر . لانه يصور حلقه من حلقه لشهور
الذى كان دائر بين اسود من وامررين قبل لوصول الى الاتفاق
الى ذلك الى اساسه شذفة لحكم الذاتى للسودان . كان ذلك فى
عام ١٩٥٥ وتمثل الرئيس جمال عبد الناصر دعائى مشكورا بعد
بسرته وحضره العديد اسيد صلاح سالم . وبعد انتهائنا من تناول طعام
حرما مجدده لى لى شى فدخل علينا السيدان عبد الفتاح حسن
وحسين دو نصر . ولاحظت ان جميع الحاضرين من اخوانه المصريين
الرئيسين . الذين يمتد السوادان كذلك ، كما لاحظت انى اسودانى
الوحيد الموحود بسهم ما دعنى لستشعر أهمية الاجتماع وانطلع لمعرفة
ما وراءه .

ولم يطل بى الانتظار اذ سألنى فى سياق الحديث السيد صلاح
سالم ، من غير مقدمات كمن يلتقى بحجر فى الماء :

« ما هى العلاقة المقبلة لتى يريد السودانىون ان تقوم بين
السودان ومصر ؟

ولما كنت كما أسلفت قد استشعرت أهمية الاجتماع ، ولما كنت
أعتقد أن وجودي كن مطلوباً لعدة اعتبارات يقدرها الحاضرون حق
قدرها ، فقد أدركت أن السؤال لم يكن انبساطاً واننى في موضع المستشار
المؤمن الذى يحتم عليه وضعه أن يصدق من استشاره فضلاً عن أن
يكون أمراً متصلاً بوطن (المستول) الذى تحتم عليه وطنيته أن يضع
مصلحة بلاده نصب عينيه وهو يحدث رجالاً مسئولين كان هذا هو
شعورى رغم أن الجلسة كانت غير رسمية ولعلها كانت لجس
النبيض فقط .

ولم أتردد في اجابة السيد صلاح سالم على سؤاله بقولى - اتنى
أنصح أن يؤجل هذا السؤال حتى يطرح على برلمان سودانى خالص
نتخبه السودانيون بمحض ارادتهم * واضفت : واننى لاؤكد لكم أن
تكييف مثل هذه العلاقات أو تحديدها ليس في مقدور زعيم دينى بمفرده
ولا في مقدور حزب سياسى بمفرده . فضلاً عن أن يكون في يدي أو ايدي
رملائى من المشغفين بالمسائل السياسية .

ويبدو ان هذا الكلام لم يقنع السيد صلاح سالم * فتجاهل
المعنى الواضح في عبارتى والذي ادعوا فيه الى قفل باب الحديث حول
هذا الموضوع * * * وددتني قائلاً ، معتقدا انه جاء بحديد يفتح مغاليق
قنبي ، * * * « نحن نقول لكم لماذا لا يكون السودان ومصر جمهورية
واحدة يرأسها سودانى يرشحه السيد على لميرغنى ؟ »

وعرفت في الحال ما يرمى اليه .

فأجبت قائلاً : - « لقد سبق ان قلت لك ان هذا الامر ليس بيد
أحد أو بيد حزب » .

وهنا تحدث السيد عبد الفتاح حسن بعد طول صمت فقال أن الذى
سمعته في السودان ، هو ان السودانييين يرغبون في ان تكون العلاقة بيننا
وبين السودان كالعلاقة التى تربط الهند ببريطانيا أى على نظم
(سكمونولث) .

واهتم السيد جمال عبد الناصر بالمعارضة التي وردت على سنان
السيد عبدفتاح حسن وتدخل لأول مرة في حديث قائل في لهجة
من يقرر أمر *

« أرفض مثل هذه العلاقة »

قلت : - « ان السودانيين لم يتقدموا رسبا بمثل هذا العرض
حتى تقلوه أو ترفضوه فلا تحكموا بالشائعات وانتظروا حتى تصدر
الكلمة من المسلمين لمنحيين من الشعب في البرلمان . كما سبق ان ينبء »
وهم بطل بي المقام بعد ذلك ، فسادت شاكرا حفوفهم ، وخرجت
وفا اسئل نفسي :

ماذا يريد من يرفض حتى مثل هذه العلاقة ؟

وظل هذا السؤال حثرا في ذهني السنوات ... الى أن قام الرئيس
حسن زياره السودان في أواخر عام ١٩٦٠ وأدلى في إحدى خطبه بتصريح
جاء فيه : أن السودان الحر المستقل هو سند للجمهورية العربية المتحدة
الحرية المستقلة ... وأن الجمهورية العربية المتحدة الحرة المستقلة هي
سند للسودان الحر المستقل ... آنذاك أخذت أقول لنفسي : هل هذا
ما كان يرمى اليه الرئيس جمال *

التفاهد الحزبي السوداني

في ٦ يناير من عام ١٩٥٤ حضرت اجتماع دعا اليه الصاغ صلاح
سليم في رئاسة الحزب المصري بباخرموم بوصفى ممثلا للحزب الوطني
الاتحادي ، وكان معي من ممثلي الحزب السيدان اسماعيل الارهري
ومحمد بور الدين . كم حضر ممثلو أحزاب لامة والجمهورية
الاشتراكية والحزب الوطني الذي يرأسه سيادة الشريف عبد الرحمن
المهدي . حضر عن حزب الامة السيدان الصديق المهدي وعبد الله خليل

وحضر من الحزب الجمهورى الاشتراكى السيد ابراهيم بدرى ومن
الحزب الوطنى المذكور السيد يحيى عبد القادر •

وفد سبقت هذا الاجتماع اجتماعات فردية انفرادية متعددة •••
وكان الهدف هو تذليل العقبات التى وضعتها الانجليز فى طريق المفاوضات
المصرية لبريطانية لحل مشكلة السودان فيما يتصل بمسألتى الجنوب
والجلاء وموافقة كل الاطراف على ذلك •

لقد كان الانجليز يرون وضع صيغة تعطى الحاكم العام سلطة خاصة
بجنوب السودان تجعل لهذه المنطقة من ارض الوطن وضعاً خاصاً ،
كما كانوا يعارضون فى الجلاء القصير لأجل وفى السوينة السريعة بحجة
غريبة وهى تخوفهم من حدوث انهيار فى مختلف المرافق • وكان الصاغ
صلاح سالم يذكرنا بالظروف التى يجتازها القطران (مصر والسودان)
وكان يقول فيما يشبه اضراة ان هذه الفرصة الدولية لو فلتت ولم
ينتهزها قطر فلن تعود ، وسوف تكون لمسئولية التاريخية على
المجتمعين ، و نه لمسئولية ثقيلة رهبة •

وفد غضبت يوم ذلك غضباً شديداً وخدبت الحاضرين بعبارات
حاولت ان تكون صريحة ومثيرة وقت هم فيما قلت أنا لو اختلفنا اليوم
لما استطعنا ان نواجه الشعب غداً • وقلت لهم هل قدر لنا ونحن قادة
البلاد واصفرون تجاوز الاربعين ان يعلننا الوطنية شاب فى الخامسة
والثلاثين قادم من مصر ؟

وشعرت بما يشبه الخزي من الموقف ،لمنعنت غير مرر الذى كان
يقفه البعض • وكنت أحياناً لا أصدق سمعى ، وان ذلك المتكلم كان
سودانيا لشدة تخذله وتكره لبنى جلدته وشعوره بانضعف والقصور •

وكان يوم الخميس ٨ يناير أو شك أن يسرم •• وقد أصبح موقف
ممثلى الاحزاب حول هذين الامرين - السوينة والجلاء العاجل ، موقفاً

متشغرا ومتشاكبين لاسراع والتدرج * وكان اليشع شاملا * * وقد
رفع الصاغ صلاح سالم يده وقال انه ليحز في نفسه ان يصرح بان
الاحزاب السودانية قد فشلت في الاتفاق * * وقال ان هذا الخبر سوف
يرضى عنه الابجيز رضاء تاما ولكنه سيمزل نزول الصاعقة على المؤمنين
في مصر والسودان *

ولكنني لم تكن من رأى الصاغ صلاح * * كتب مؤمن بضرورة
الاتفاق وغير يئس من الوصول اليه وقلت في ضراعة ان الله تعالى ان
نعلن هذا القتل * ورجوت الحاضرين في حرارة ان يعطونا مهلة وماليت
برجاء الاجتماع الى يوم السبت ١٠ يناير *

وخرجت من الاجتماع وأن ضمير امرء * لقي تصديدا من
الجليل وتحدث لهما في هذا الموضوع * واتصلت بـ
حزب الجمهوري الاشتراكي ونحدثت اليهم أيضا *

وجاءني السيدان زين العابدين صالح والدرديري نقدا وقالوا ان
سيد ابراهيم بدرى لن يحضر اجتماع السبت فقلت لهما ألتما من
حزب الجمهوري الاشتراكي ؟ ألتما لان مثله هذا المنع ان تنوء
عنه في توقيع ما دمتا مؤمنين بصحة ما سنوقعن عليه ؟ وفي اليوم
لمحدد للاجتماع حضر السيدان زين العابدين والدرديري مع * *
لاندية مع بنية لاجزاب واعلى الصحف ودور * * *
لاندية هذا الاتفاق * في دوى راع لم تسمع خلاله لغات النصارى *
قد وقع على هذه لاندية من جانب الحزب الوطني الاتحادي السيد
اسماعيل الازهرى والدرديري محمد عثمان واسيد محمد نور الدين
وعلى جانب حزب لامة سنده الصديق المهدي وعبد الله حبل * وعن
جانب الحزب الجمهوري الاشتراكي سيدان زين العابدين صالح
والدرديري نقدا ومن جانب الحزب الوطني لسيد يحيى عبد القادر *

ووسى مشو الاحزاب بعد ذلك اجتماعهم ونسقوا جهودهم

وعمموا كسيد الواحد * وأرسلنا مندوبين للجنوب للدعاية لوحدة
الوطنية وبذلنا ما استطعنا من جهد لاحتياط مساعي الاستعمار ووجدنا
من بعض الجنوبيين وطنيين مخلصين يعملون معنا قلبا وقالباً *

نسى شديد الاعتقاد بأن تلك الاجتماعات وما أسفرت عنه من
اتفاق بين الأحزاب كأن أخطر مرحلة في قضية السودان وكان نقطة
التحول التي اتخذنا منها طريق السلامة والنصر الذي أوصلنا في النهاية
إلى هدفنا الأخير . "أنا وهو الحرية والاستقلال ، وإن الاعتراف بالجميل
لبنسبتي أن أذكر بالشكر والتقدير المجهودات المضيئة التي بذلها
" بن صالح سالم وعبد القناح حسنة ، الثقافة من الاحزاب ، "

أولاً : - موضوع الجيوب - يوافق الجميع على لاقتراح
المصري الآتى : -

« أى قرار تتخذه اللجنة ويرى الحاكم العام إنه يتعارض مع
مسئوليته * أو أى تشريع اقره لبرلمان السودانى ويرى الحاكم العام
أنه لا يقق * وبدء ضمان العدالة والمساواة فى معاملة كل سكان
المديريت المختلفة بالسودان على أنه يجب فى أى من تلك الحالتين أن
يرفع الأمر الى حكومتى مصر وبريطانيا على أن يصل رد الحكومتين فى
خلال شهرين من الاحطار الرسمى ويكون قرار اللجنة أو التشريع الذى
أقره البرلمان ملغى اذا اتفقت الحكومتان على خلاف ذلك *

ثانياً لجنة الحاكم العام

- (أ) تقوم فوراً عقب اعلان الدستور وقبل اجراء الانتخابات
(ب) طريقة تعيينها كما جاءت فى المذكرة المصرية للحكومة البريطانية
(ج) تعمل هذه اللجنة مجتمعة محل الحاكم العام وقت نيابة برئاسة
العضو المماثل (الهندى أو الباكستانى) *

ثالثاً السودان

- (أ) يضاف الى الفقرة الخاصة بذلك من المذكرة المصرية ما يلى :
عندما يقرر البرلمان السودانى وقت المصير فى خلال المدة التى
اقصاها ثلاثة سنوات * فينزم استبدال ما تبقى من موظفين بريطانيين أو
مصريين بعناصر أخرى تقررها الحكومة السودانية وهذا فى حالة عدم
توافر العناصر السودانية الكافية *

- (ب) يحذف من الفقرة (٢) جملة (موافقة الحكومتين القائمتين
بالتصفية) *

- (ج) يشطب من الفقرة (٣) من المذكرة * الجملة (عند تصديق

الحكوميين الفائتين بالنصفية) على تاريخ انتهاء فترة الانتقال (وتستبدل بالجنة (عند انتهاء فترة الانتقال)

رابعاً الانتخابات

تكوين الانتخابات مباشرة في كل السودان ما كان ذلك ممكناً وعملياً وتقرر إجراء هذه الانتخابات للجنة التي ستشرف على إجراءاتها الواردة في المذكرة المصرية .

خامساً إجراء الجيش العربي

(أ) يتم سحب القوات البريطانية والمصرية من السودان قبل إجراء الانتخابات الجمعية التأسيسية التي ستقرر مصير السودان كما جاء في المذكرة المصرية .

(ب) عندما يتم سحب القوات العسكرية البريطانية والمصرية يوكل أمر الأمن الداخلي للحكومة السودانية القائمة وفتنذ من يوم اتمام الجلاء حتى انتهاء تقرير المصير . ولا يكون للحاكم العام أى سلطان خلال هذه الفترة وقد اتفقت الأحزاب السودانية والموقع مدوبوها على هذه الوثيقة ان تكون النقاط المتقدمة أساساً للدستور السودانى للحكم الذاتى .

وبعد ذلك اجتمعت هذه الأحزاب على مقاطعة الانتخابات التي تجري في ظل أى دستور غير هذا .

كما اجتمعت الأحزاب على ان تجتمع لسظيم وسائل المقاطعة وتنفيذها اذا ما حدث ذلك . وكان الذين وقعوا على هذا الاتفاق هم :-

عن حزب الأمة : السادة صديق عبد الرحمن المهدي — وعبد الله خليل وعبد الرحمن على طه وعن الحزب الجمهورى الاشتراكى السادة :

زين العابدين صالح - والدرديري محمد احمد نقد وعن الحزب الوطني
الاتحادي السادة : اسماعيل لازهري ومحمد نور الدين والدرديري
محمد عثمان وعن الحزب الوطني يحيى عبد القادر - كما وقع عليها
السيد الصاغ صلاح سالم *

في لجنة الحكماء والعلماء

في عام ١٩٥٤ اخترت عضوا بلجنة الحكماء العلم ممثلا للحزب الوطني الاتحادي الذي انصهرت فيه كل الاحزاب * وقد سبق بعيني مناورات ضخمة من الانجليز *** و قول الانجليز ولا ازيد *

فقد رشح لعضوية اللجنة شخصان احدهما كذا لسيد ابراهيم احمد عن حزب لامة ولم يكن محل اعتراض * ولكن خبير شخص آخر لم يوافق عليه الحزب الوطني الاتحادي اثار الكثير من الغضب والكثير من الجدل * وفي النهاية وتحت ضغط شعبي عظيم وباكتشفه الاغيب الانجليز تم ترشيحي لهذا المنصب *

وفي الوقت الذي كانت فيه المشدودات والمناورات حول الترشيح دائرة ، زارني المستر سلوين لويد وزير الخارجية البريطاني في داري عندما وصل الى الخرطوم ومكث به أيام * وقل لي : اهتلك بثقة شعبك * لقد ارسلني المستر تشرشل لكي اتحرى * اذ بلغه ان ترشيحت كان بضغط من المصريين لا برغبة الشعب وقد اتصلت عند وصولي بالاحزاب والسبده رؤساء لطوائف الدينية وبعض افراد الشعب فلم أجدهم اعتراضا عليك من احد بما في ذلك الحزب المعارض حزبك * فشكرته على كلامه ثم قلت ولكن هناك اناس لا يريدون هذا تعيين فاستفسر وهو يقول من هم ؟ جبت : الانجليز المحليين اذ لو كان هؤلاء الانجليز قد تقنوا لكم الحقائق لما اضطرت أنت لكي تنعيب لتلتسها بهذه الرحلة الطويلة * وبدا انه لا يريد ان استرسل في الحديث عن مواثني بالسودان * وقال : اني ارى ان تعتبر هذا الموضوع منتهى واليكت تهاني على الاختيار *

« وهنا باغتني المستر سلوين لويد بقوله وم رأيك في المشكلة بينا وبين المصريين في قناة السويس فقلت له ان كان الخلاف بينكم كما

أعلم محاصر في سطين وهما رجوعكم لهذه السويس عند ظهور شبح
حرب عالمية وبما الاحصائيين منكم بملايسكم الرسمية فاني أرى ان
كلا هاتين نمطتين محلولتان عمليا لانه اذا نشبت الحرب العالمية فالمصريون
يحتاجون تلقائيا لمساعدة في الدفاع عن القناة أما وجود جنودكم قبل
نشوب الحرب بملايسهم الرسمية فهذه مسألة شكلية لا يجب ان تتمسكوا
بها اد ان الغرض من وجودهم هو العمل لا الزى الذى لا يضركم بل يضر
بالمصريين الذين يعتمدون بحق ن جنودكم ثم يخرجوا من نقناسة فنظر
الى المستر سلوين لويده وهو يتحرك للانصراف قائلا لو ان هذه امشكلة
بيدى ويبدك لحلها على هذا الوضع فقلت له انها لن تكون بيدي
وأرجو ان تحلها أنت وهى بيدك •

صدر بعد ذلك مرسوم التعيين بأعضاء لجنة الحكم العام من
رئيس الجمهورية المصرية حسب نصوص الاتفاقية • وبصدور ذلك
المرسوم بدأنا فعلا في مز ولنه الحكم الداتى ••• واتخذ السودان طريقه
نحو المستقبل الكبير •

السردية ومستوى الادارة

تكونت لجنة الحكم لعام من السيد ابراهيم احمد ومنى ممثلين
للاحزاب السودانية ومن السيد حسين ذو الفقار ممثلا لمصر ومن السير
جر فنى اسمث ممثلا لبريطانيا • ورأس اللجنة بحسب الاتفاقية عضو
باكستانى هو السيد ميان ضياء الدين •

وشرعا في عملك التاريخى العظيم • ولقد كان هدفنا نحن السودانين
منذ بداية قيام اللجنة ان نعمل على تنفيذ السودنة بأسرع ما يمكن •

كنت نريد ان نجرد البلاد من نفوذ البريطانيين ، ونبعدهم عن مرافق
الدولة لكي نحصل على الاستقلال الصحيح •

ولم تكن نبلى بغضب المناضلين أو تهديد المهديين أو مخاوفه
الاصدقاء أو ادعاءات المحصوم •

كان أما ما هدف خطير ولم يكن ثمة بد من تحقيق هذا الهدف .
ولما رأنا السير جرافتي اسمت نسرع في انجاز السودنة قال في أحد
اجتماعات اللجنة الاخيرة ، اننى أحب أن اذكركم أنه بتعجيلكم بالسودنة
وليس بين السودنيين ، الفنيون ولا خصائيون الاكفاء ولا لعقيبات
الادارية الكبيرة ذات التجارب انما تهبطون بمسنوى الادارة في بلادكم
ولن تكون مشكتكم في المستقبل هي كيف يخرج البريطانيون كما
تفعلون اليوم ولكن كيف يعودون .

وتوليت ، لرد عليه فقلت له : لا سامح الله ! ولكننا نوافقك بان
السودانيين لا يسكون بعض الصفات التي ذكرتها لان أغبيهم لم يعطوا
للتعليم اللازم لها ولا الفرصة للممارسة وليس هذا ذنبهم ولكن قد وضع
أمامهم اعنى هدف وهو الاستقلال وما لم تكمل السودنة فنن يكون
الى الاستقلال من سبيل . ولذلك فحق السودانيين مضطرين للبض
على الشوك لكي نصل الى هدفنا .

نعم ان مستوا الاداري قد ينزل ولكنه ينزل ليرتفع فيما بعد على
أيدي أبنائه المخلصين دون ان يحتاج الى أجنبي . وهنا اعترف سير
جرافتي اسمت بان لنا الحق في الاسراع ومضينا في سودنة كل المصالح
في أقرب وقت وكان اجيش في مقدمة من سودنوا في بضعة أيام رغم
رجاء القائد الاسكلبيزى اسكوبى لابقائه أيام معدودات ولكن لم يقبل
رجاؤه لأن وزير الدفاع آنذاك ايكباشى خلف الله خالد كان مصراً على
الاسراع في سودنة الجيش دون امهال .

اللجنة والحاكم العام

وضح منذ الوهلة الاولى لتعيين لجنة لحاكم العام ان السير
روبرت هو الحاكم العام لم يكن راضيا عن قيام هذه اللجنة . وكان
هذا طبيعيا بالنسبة لحاكم كان مطلق التصرف ، واسع السلطات يعطيه
القانون حقوقا خيالية لم يتمتع بها ملك من ملوك القرون الوسطى .
وذلك لأن الاتفاقية كانت تشرك اللجنة في سلطاته وتحد منها .

فبدأ في التعبير عن شعوره العدائي نحو اللجنة تصرف كن غريبا
شاذا متدء له كل الاعضاء باستثناء لعضو الانجليزى بطبيعة الحال *
فقد جعل مقر اللجنة بعيدا عن السراى ، وفي مكان يفقد مظهر النفوذ
وجلاله وهيبته *

وحسبك ن هذا المقر كن من المباني العتيقة وأمامه دكان مكوجى
وحوله منازل لسكى الاهلى * وواضح أنه أراد بهذا الاقصاء المين ان
يؤكد لانس انه لا يزال صاحب القوة والنفوذ دون شريك أو رقيب وان
السراى وحدها هى مقر السلطة العليا وان وجوده به دون منافس يعبر
عن هذه الحقيقة *

وقد عارضت معارضة شديدة في هذا الموضوع ، وقلت ان السراى
هى المقر الطبيعى للجنة فن مجلس الحاكم العام السابق كان مقامه
السراى * وان عملنا لمشارك مع الحاكم العام يقتضى ان تكون الى
جانبه لان اللجنة تكون جزءا فعالا منه *

وعندما رأيت أن كلامى لم يؤخذ به كدت استقيل لولا اننى
راجعت نفسى * ورأيت ن هذه النحية الشكلية فى اللجنة لن تضيرنا
فى شىء ما دمتا نستطيع عن طريق السلطات المخولة لنا ان نخدم بلادنا
وان نوقف الحاكم العام (والانجليز من ورائه) وكل اجراء يتفق مع
مصلحة البلاد *

والواقع ان تصرف الحاكم العام العدائى لم يكن له التأثير
الفسائى الذى كان يتوقعه على الجمهور * فقد عرف الناس من وقائع
الجلسات التى تسرب بعضها الى الصحف وخاصة فيما يتصل بالسودنة
اننا نحن أعضاء اللجنة لم نكن أمعات واننا جنبنا بلادنا شرا كثيرا
وكسينا لها خير وفيرا *

وما كن ليؤثر على أعمالك ذلك المقر أو أى مقر سواه حتى
لو وضعنا تحت شجرة فليست العبرة بالمكان بل ما يستطيعه السكان *

غير ان هذا الاقصاء المسمى لم يشجع النهم البريطاني لتفصيل من
أهمية اللجنة فوضع سكرتير الادارى قائمة بنظام الاسبقية
(لبروتوكول) فى الحفلات الرسمية وضع فيه أعضاء لجنة محاكم العام
فى ذيل القائمة وكانت الاسبقية الموضوعه هكذا : ١ - الحاكم العام
٢ - رئيس القضاة (الانجليزى) ، قاضى نقضاة ٣ - رئيس الوزراء
٤ - رئيس مجلس النواب ٥ - رئيس مجلس الشيوخ ٦ - القائد العام
(لانجليزى) ٧ - رئيس لجنة الانتخابات ٨ - أعضاء لجنة الحاكم العام !

كان الترتيب الطبيعى لوضع أعضاء لجنة الحاكم العام فى البروتوكول
أن يكونوا بعد الحاكم عام مباشرة لانهم فى واقعهم بل ومفهومهم
القانونى جزء منه اذ هم يشتركون معه اشتراك فعليا فى رئاسة الدولة .

غير ان الوضع الذى ووجهنا به نحن أعضاء اللجنة كان يختلف ...
لقد كنا فى ذيل القائمة ، مما شعرنا بان ثمة قصدا فى التقليل من قيمتنا
والتهوين من شأننا . ولم يكن هد لبرضىنى ... بل لم يكن هذا محتملا
على الاطلاق ولذلك فقد سارعت وكسبت الى رئيس اللجنة الخطاب التالى :

نص الخطاب

تحريرا فى ٢٦ يونيه ١٩٥٣

السيد رئيس لجنة محاكم العام

اتنى لشعر بأن كشف لاسبقية (البروتوكول) الذى صدر حديثا
من قبل السكرتير الادارى بدليابة بموجب تعليمات الحاكم العام أمر
يجب الا يمر دون تعليق أو تحد من هذه اسجة .

ان الاساس الذى بنى عليه ترتيب الاسبقية كما ورد فى ذلك
الكشف لم يفسر .

وكم كنا نود لو انهم فسروا لنا ذلك الاساس .

ويبدو ان القاعدة التي بنى عليها كشف الاسبقية كانت درجات أعضاء اللجنة في وظائف الحكومة ، وهذا مذهب لا تشاركهم فيه ، كما ان الموقعين على الاتفاقية (مثل الحاكم الشائى) - بالتأكيد لم يقصدوا أو يهدفوا اليه .

وامك ولا شك توافقنا على النظر الى هذه اللجنة كجزء مكمل للحاكم العام في وظيفته وسلطته *** وعلى هذا الوضع يجب ان تكون اللجنة مقرونة به دائما . وكن من الطبيعي لهذا ان تتوقع ان تكون مكانه اللجنة في كشف الاسبقية بعد الحاكم العام مباشرة .

ولهذا فاني اعتمد ان من واجب اللجنة ان تثير هذه المسألة وان تلفت نظر الحاكم العام والدولتين الموقعتين على لاتفاقية الى المعزى السياسى لهذا الامر (الاسبقية) الذى ما كن يكون بهذه الاهمية لولا تلك اساحبة السياسية .

ان وضع اعضاء للجنة في تلك القائمة وان لم يكن ذا أهمية شخصية تذكر بالنسبة للاعضاء وقد كان في الامكن تجاهله من ناحيتهم الا انه اكثر أهمية من الناحية العامة .

ان لوضع الحالى انما يشير ضميا الى أن اللجنة قد زحزحت الى مكانة ثانوية انى لست منزعا على مراكزنا اشخصية لان هذا أمر لا يهسا كاشخص ولكن في جميع المناسبات الرسمية التى يحضرها أعضاء اللجنة بصفتهم هذه، يتحتم ان تكون أسبقيتهم بعد الحاكم العام مباشرة .
وخدما فاني أرجو ان يعرض هذا الامر في اجتماع اللجنة القادم .
الدرديرى محمد عثمان

ولم يعرض هذا الخطاب على اللجنة الا بعد أن كتبت استعجالا لرد . وفي الجلسة السابعة من الدورة الرابعة للجنة وهى التى عقدت في ١٦ سبتمبر ١٩٥٤ ، بلغ رئيس اللجنة الاعضاء بأنه قد نقل الى الحاكم العام رأى اللجنة في مسألة الاسبقية وان الحاكم العام قد وافق على ان تحتل اللجنة مكانا خاصا يعادل مكانة السفراء الاجنب .

وانه بناء على ذلك قد تقرر ان يدخل على امر لاسبقية حاشية
تقول : بأن يجيء مكن اللجنة بعد الحاكم العام مباشرة •

كما اخبر الرئيس أعضاء اللجنة بان المشكلة الوحيدة التي
اعترضتهما هي تحديد أسبقية اللجنة بالنسبة للسيدتين الجليلين ...
وطلب من اللجنة ان تبتدي رأيها عما اذا كانت تريد ان تكون متقدمة
على السيدتين أم يتقدماها • فأجاب العضوان اسودافيان (ابراهيم احمد
والدردري محمد عثمان) انهما يرغبان في أن تكون اسبقيتهما بعد
السيدتين • وقد وافق على ذلك بقية الاعضاء وهكذا سار الترتيب في
الاسبقية على هذا الوضع المعدل •



مجلس المساعدة لجمهوريه السودان
 احمد محمد صالح - الرئيس - السيد الفلاح المصري - سريسيو انورا

في مجلس السيادة

المجلس بملك ولا يحكم

كنت امثل في مجلس السيادة طائفتي الخنمية والانصار *

وعندما شغلنا مناصبنا كاعضاء في مجلس السيادة نحن الخمسة
احمد محمد صالح ، واحمد محمد بس ، وعبد الفلاح المغربي ، وسريو
ايرو وشخصي * كنا نعتقد ان لدينا ما نصنعه * غير اننا وجدنا
بالممارسة ان الدستور سلب كل شيء *

لم نكن نملك الا ان نوقع * * * اعني الا ان نوافق على كل
ما يرسله لنا مجلس الوزراء او بالمبادرة الدستورية نفسها كنا نعمل
وفق مشورة مجلس الوزراء *

استغفر الله بل كان لنا شيء ؟ * هو ان نتصح * كانت لنا
النصيحة ولم تكن لنا سلطة ، النقض او اميتو * لم تكن لنا سلطة
المبادرة او المبادرة بعمل ، كما مجرد رمز * وقد عرفنا وضعنا ولم نتعد
عليه لان هذا الوضع ثبت في صلب الدستور الذي رقتته البلاد ،
وبه حصننا على استقلالنا وقد نصحتنا كلما كان هناك موضع للصالح

أبنت لهم بصحي بنعرج اللوى

فلم يستبينوا الرشدا الا صبحي الغدا !

وسرنا بالمجلس في هدوء * لم تحدث زلات * كل خلاف كما نرجع
فيه الى نص القانون ، والقانون واضح صريح ليس فيه ابهام *

كما جميعا نحن الخمسة رجالا قد بلغنا من النضوج ومررنا
بالتجارب التي تجعل للعقل السيطرة على كل أفعالنا * لا يؤمن واحد
من بلنهر صبح ، أو التهويش أو الضجبات الجوفاء *

لا نقشيس يسجل
نشر في ١٩٨٠
القول الذي
نأمله
في الحاضر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ...

نحمده فشكره على نعمة الاستقلال الذي ناله الشعب بقليل من التضحيات وبكثير من العناية الالهية (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) *

فها ،نتم أيها المواطنون بعون الله وتوفيقه تجتمعون في هذه الدار لأول مرة وتسم أميدها أحراراً ، فمنكم حاكم ومنكم الرئيس ومنكم الورراء والصمغ يشرفون بأنهم خدام الشعب ، تسرون بأوامره ويسعون لما فيه خيره وسعدته وقد توالى علينا نعم المولى فقامت الورراء قوميه يرعاها الشعب ويباركها اسيدان الجليلان في وئده ووفق نده (هتفت الايسى وتقررب القلوب ولا شك ان هذا لاجتماع سيزيدنا فوه ويسد على ايمان صون حريتنا وبنى دولتنا الجديدة على عدالة الاجتماعية اشمله * ان الاستقلال أيها المواطنون قد أوكن البنا أمورنا سليمة وهذا يستوجب ان تتكاتف وتتقارب ويسد الاحن والاحقاد حتى نكون أهلا لحمل هذا العبء وحتى نوفر لشعبنا ما يصير الله من عزة وكرامة واستقرار وطمأنينة فعلى الجميع ان يمسوا كل في محيطه وليؤد كل ما امامه ويسبق الله ربه فلا كسل ولا توكن واثقين بان الله الذي وفقنا في البداية سيوفها في النهاية ما دام رائدنا الاخلاص لسعادة هذه الامة ورفاهيتها ، أما نحن اعضاء مجلس السيادة فقد قطعنا لكم عهدا من قبل ان نكون حراسا أمناء على استقلال ابلاد وحريتها وان نحرص كل الحرص على اجتماع الكنسة ولم لشمع وانا على ذلك العهد بقون وله حفظون (ان العهد كان مسئولاً) *

وختاماً أرحب بكم جميع خصوصاً أولئك المواطنين الذين جاءوا من الافلهم وآمل ان يملوا صورة مما رأوه في العاصمة لآخوانهم الذين لم تمكنهم الظروف من حضور هذا الحفل والسلام عليكم ورحمة الله *

هذا ولا يفوتني أن اذكر انه في أول عهد الاستقلال ظهرت ظاهرة انفصالية من اخواننا الجنوبيين وهو ما كانوا يسمونه بالفدریشن وقد ادخل هذه الفكرة الخبيثة الى رؤوسهم انفس البشرين وقد كانت تكون لعنة نجلاء في صميم الاستقلال لو اذن الله لها أن تتم ولكنه سبحانه كذب يخلص دائما بعذبه وجيل رعايته وكان كثيرا من اخوان يسعون جدين في تحطيم هذه الفكرة وتجييب البلاد شر الانقسام ولا ادعى نه كان يدور الاول لي في تحطيمها والقضاء عليها ولكني كنت من وقت لآخر أثناء رئاستي لمجلس السيادة ادعو بعض حواتنا الجنوبيين في منزلي كاسيد سننس لاوس پيساما وزميلي اسيد سبرسبو ايرو وغيرهم وأتحدث اليهم في خطأ الفكرة مدعيا ذلك بحجج واهين والمنطق وقد اقتنع أغلبهم حين ذلك بما كنت أنصح به وتجننا شر نفسة والانقسام .

العلاقات السودانية الاثيوبية

ان العلاقات السياسية بين السودان وأثيوبيا قديمة العهد ، ولم تطفح الا في عهود الاستعمار وهذه حقيقة لا يزل حواتنا الاثيوبيون يذكرونها بلحير ويشيرون اليها كلما مرت مناسبة ، فيبدون من الاعتزاز بتلك العلاقات لودبة نفس ما تكنه وبنده . وتؤكدنا ذلك فقد تكرم صاحب الجلالة الامراتور هيللا سلاسي واهدى لاعضاء مجلس السادة بوصفه (مجتمعا) أول رأس دولة في السودان الحر المستقل ، اهدى جلالتة لكل من الاعضاء وشرح منليك الثاني العظيم الشأن وقلده زملائي بيده الكريمة عند مروره بالسودان . ولما كنت متغيبا عن البلاد حينذاك فقد أوكل سمير جلالتة بالسودان ان ينوب عن جلالتة في تقليدي ذلك الوشاح ، وقد شاءت مكرم معالي السفير السيد ملس ميخائيل عندوم ان يقدم لذلك بالخطاب التالي . -

سبدي رئيس مجلس السيادة - السادة اعضاء مجلس السيادة اخواني الاعزاء .

ته لمن دواعي الغبطة والفرح ان اكون بينكم في هذا الصباح

المبارك وانتبه هذه الفرصة السعيدة لكي اقدم باسم مبراطوري المعظم هيلاسلاسي الاول وشاح مليك الثاني العظيم الشان لسيد السرديري محمد عثمان * والسيد الدرديري محمد عثمان هو غنى عن التعريف فهو ابن "ول" سفير سود في بعثة الخليفة عبد الله خليفة الامام المهدي طيب الله مثواه في مأمورية سرية مهمة الى بلاط جلالة الامير طور منليك الثاني في تلك الايام العصيبة حيث كانت طرق المواصلات صعبة ومحفوفة بالمخاوف والمخاطر * وقد تجز السفير مهمته على أحسن صورة ورجع الى بلاده عزيزا مكرما من جلالة الامير اطور وحشنته بسبب ما تصف به من شيم كريمة واخلاق حميدة وطلاع واسع ونية سليمة في خدمة مصلحة لبلدين وبذلك وضع السفير الأسس الاولى لحسن العلاقات ووثق عرى صداقه ولوده بين البلدين ورسم الخطط الاولى لسبل السياسي الصالح الامين منذ حوالي ٢٥ سنة وبهذا نجد ان العلاقة الطيبة بين العائلة المالكة الاثيوبية وبين عائلته السيد الدرديري محمد عثمان حاج خالد قد قامت منذ زمن طويل وأمد بعيد * وتقديرا لتلك الصدقة قوية لوطينة وما قام به ابن ذلك السياسي اعظم في تحرير بلاده وخدمة وطنه والمنزلة العالية التي يتمتع بها بين مواطنيه وعشيرته ان أمر امبراطوري المعظم ان يمد السيد الدرديري هذا الوشاح العظيم بذي ناله بجدارة واستحقاق واني بالنيابة عن امبراطوري المعظم اقدم ساداتكم هذا الوشاح العظيم متمنيا لكم دوام الصحة وطول العمر ان شاء الله *

سفير اثيوبيا لدى جمهورية السودان

مجلس مخائيل عندوم

ويهنئني ان شبرها الى اقنى ما نقلت نص هذا الخطاب تسجيلا لما جاء فيه من نعوت تفضل بها فدائه على * ونما له حواء من اشارة الى تاريخ تبادل التمثيل السياسي بين السودان واثيوبيا وهو تاريخ يجهله الكثيرون من الجيل الجديد * واتمما للوثائق التي تمكن المؤرخ من تبين الحقائق فقد رأيت أيضا ان انقل لتقريء ما حوته سجلات وزارة الداخلية اسودانيه بشأن تلك السفارة التي قدم بها للمغفور له والذي

بين المرحوم الخليفة عبد الله التعايشي طيب الله ثراه وبين جلالة امبراطور الحبشة آنذاك : -

« في عام ١٨٩٦ بعث الامبراطور منليك الثاني جبريا يدعى احمد لطيب لى الخليفة عبد الله التعايشي خليفة الامام المهدي الكبير وحاكم السودان في ذلك الحين يبدى رغبته في اقامة علاقات ودية و ابرام معاهدة صداقة بين السودان واثيوبيا »

وفد تجاوب الخليفة مع هذه اربعة ووفق على الطلب الا انه اشترط ان يتلقى رسالة مكتوبة توضح التفاصيل وتؤكد المعنى الواردة في احوال الرسول .

ولم يلبث الامبراطور منليك الثاني عقب عودة الجبرتي احمد لطيب وابلاغه اشترائط الخليفة عبد الله ، ان بعث برسول آخر يدعى احاج احمد جبرتي وحمله رسالة مكتوبة أكد فيها ما سبق ان بينه الرسول السابق الجبرتي احمد الطيب من رغبة الامبراطور في اقامة علاقات اودية وقيام تعاون صادق بين البلدين .

وبناء على هذه الرسالة ، ووفقا لاتجاه السوداني الرامي الى تعزيز صلات المحبة والوفاق بين السودان وجاراته فقد عين الخليفة عبد الله محمد عثمان حاج خالد ليتم بمهمة التفاوض وحمله رسالة مكتوبة وأخرى شفوية أوضح فيها لاسس التي يجب ان يبنى عليها الاتفاق وهي : -

١ - رفض كل تدخل أوروبي في شئون البلدين ، وعدم السماح للاوروبيين بدخول الحبشة أسوة بما هو متبع في السودان .

٢ - وقف الاعتداءات التي تقع في الحدود .

٣ - فتح أسواق القلايات وهشمي للانصار والاحباش على اسواء .

وفي ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٩٦ غادر السيد محمد عثمان حاج خالد
أمدرمان في طريقه الى اثيوبيا يرافقه لحاج احمد الجبرتي .

وكانت الرحلة شاقة عسيرة محفوفة بالمخاطر نظرا لوعورة الطرق
وصعوبة المواصلات وعدم توفر أسباب الأمن .

وعندما وصل السيد محمد عثمان ورفيقه الى مدينة لبو قابل
الرأس منقشا حاكم المدينة حيث شرح أمر الرسالة التي يحملها واتفقا
على وقف الاعتداءات في الحال .

وفي اديس ابابا قابل السيد محمد عثمان الامبراطور منليك الثاني
وافق معه على النقاط التي حددها الخليفة عبد الله . وفيما يلي ملخص
لما دار بين الرسول والامبراطور من حديث : —

١ — قل الامبراطور انه لا علاقة له مع الاوربيين الا التجارة
التي هي من مصالح بلاد وان ايطاليا سوف يكون مسئلة
على البلدين عامة واشد سوءا على الحبشة خاصة
بالاصفة ابي أن معظم التجار الاوربيين قد عاشوا في
الحبشة لسنين طويلة وارتبطت مصالحهم بها .

٢ — أبدى الامبراطور منليك استعدادا لقول اشتراطات
أخرى . ثم عرض مساعدة الحبشة للخليفة بالجيش
والسلاح في حالة اندرة أي جيش أوربي على السودان .

٣ — وافق الامبراطور على فتح الاسواق السودانية والحشية
لتجارة بين الانصار والاحباش وأصدر أوامره لرأس
منقشا لكي يبلغ الناس بأن الاحباش ولا نصير قد
أصبحوا أصدقاء ون الاسواق قد أصبحت مفتوحة
للجميع حتى امدرمان .

٤ — تساءل الامبراطور عما اذا كان من الممكن اطلاق سراح
الاسرى المعتقلين في أمدرمان فرد السيد محمد عثمان

بأنه لا علم له بهذا الموضوع وأنه لا يحمل اذنا
مباحث فيه .

• قال الامبراطور : ان الايطاليين يحتلون كسلا وهي
المطقة التي يحكمها الرأس منقشا فادا كنتم تريدون
الاتصال به فنى سأتخذ الاجراءات لاختطاره بذلك .

ولم وافق اسيد محمد عثمان على عرض الامبراطور طلب
الامبراطور منقشا في الحال وأمره بأن يقدم أية مساعدات يطلبها
(لانصار) ••• وهنا طلب اسيد محمد عثمان ان يكتب منقشا للخليفة
رأسا .

وعاد اسيد محمد عثمان وفد وافقه رسول آخر من قبل الامبراطور
مليك وقيل لرسول الخليفة عبد الله وتباحث معه بشأن الاسرى
الاجيش وأبدى له شديد رغبة الامبراطور منليك واستعداده لارسال
أى شىء يطلبه الخليفة ••• كما ان الامبراطور سوف يلجأ اليه اذا اعوزه
شىء كذلك .

وقد وافق الخليفة على اطلاق سراح الاسرى وعبر عن سروره
بنتيجة لمفاوضات الى توصل اليها السيد محمد عثمان مع الامبراطور .
ثم كلف الخليفة الرسول بأن يبلغه ان (نور القدرى) قد خرج
عنه وانه استوى على بنى ششوق وطلب اليه انقيام بتأديبه .

وفي عام ١٨٩٧ أرسل الامبراطور منليك رسولا آخر يسمى محمد
الطيب لبلع احيفة بأنه قد ارس جيشا كبيرا لمحاربة (نور القدرى)
وللمحافظة على الحدود كما رج منه الا يصغى لأية اخبار تدقض ما يحمله
الرسول وان يعتمد على الصداقة التى بينهما • وان يكون يقظا فى محاربة
الاوربيين • وان لا يالو جهدا فى طردهم من بلاده .

وارسل الامبراطور للخليفة علما فرنسيا لكى يرفعه أمام الجيش
اذا تقدم الانجيز لمحاربته مبين له ان هذا العلم سوف يسمعهم عن التقدم .

غير ان الحديفة عبد الله رفض استلام لعلم واعاده مع الرسول
قئلا : انه اذا التقت الارض واسماء ضده فلن يرضى ان يكون تحت
حماية أوربية *

هذا ما سجلته الوثائق المحفوظة في وزارة الداخلية ** وهي تصور
التفكير السوداني السياسى في أواخر القرن الماضى وهو تفكير يلتقى فيه
الماضى والحاضر على أسس ومبدأ من مصدحة السودان وخلق أبنائه
وطبائعهم ونزعاتهم لحررة *

نزهة المرأة السودانية

في احدى دورات رئاسى لمجلس لسيادة استقبلت هدا من
عضوات الاتحاد النسائى في دارى ستجابة لطلبهن وتحدث اليهن
حديث الابوة وبعث لهن رسالة توضح منهجى في معاملة المرأة بوصفها
أحد شقى المجتمع * وبما انى لا ازال على ذلك الرأى واتمنى ان يكون
رأى الجميع فقد رأيت ان أدونه في هذه المذكرات *

« قلت احببكن أطيب تحية واشفعها بكلمة صادقة جاءت أثر نظرة
واسعة عميقة بعيدة عن جانبى الافراط والتفريط الذين يسوقون الى
الخطايا والنمساك باخطأ *

انك قبل كل شىء مسلمة سودانية تحفظن على أدب الدين
وتحفظن على تقايد الاسرة لصاحبة * وتحفظن بالطيب القديم لا لانه
قديم ولكنه مفيد وصالح * كما ان هناك جديدا لا تأخذن به لانه
غير مفيد وغير صالح * فمقيسا فيما نأخذ وما ندع هو اعتبار ديننا
السمح وخلقنا الكريمة وبذلك نساعد على حركة التقدم في معترك
لحياة الاجتماعية وتركيز محاسن التى تصبح مظهر قوة وعنوان فضيلة
ودليل الصلاحية للبقاء ، والبقاء في هذه الدن للاصلاح سنة الحياة
منذ الازل *

انا لا نريد ان نمسك بالقديم لمجرد أنه ثراث الآباء والاجداد ،
ولا الجرى وراء الجديد لانه وارد من الغرب الذى هو في هذه الايام

منط التقليد لدى كثير من الشعوب ولكننا نريد ان نتمسك بما ننتفع به ، نريد غذاء الروح وصلاح البدن ، والعتاد الذي يعيننا على القوة ويثبت شخصيتنا ويسدد خطانا ويمكننا من شق طريقنا في عالم كنه نضل وصراع *** تسود فيه شريعة لا قوى •

وخلص نصحتي بكن يا طليعة المرأة السوداوية المستتيرة ان تتمسكن بالكتب وسنة المحمدية اسبغاء وتقليدكن واخلاقكن المتوارثة الصالحة الكريمة •

وتقبلوا منى هذه الهبة الكبيرة في معناها وهي المصحف الكريم لدى أرجو ان يكون حرد دستور لمنطقكن وعون لكن في طريق الوحدة المتشعبة ومع هذه الهدية الرمزية هدية أخرى مادية بسيطة تعبرا عن معدوتي العملية لكن لكي تقفن في عزة وكرامة تناضلن عن حق المرأة المشروع في الحياة » •

وفد علمت أن هذا الخطاب لاقى من عضوات الجمعية قبولا حسنا وقابلته كدليل على الشجيع •

والحق يقال انى لا اقف ضد النهضة اسائبة شى تهدف لخير المجموعة ونجعل من لمرأة مواطنة صالحة ذات تقع للامة وللانسانية ولنا بلمسات اللاتى برزن في هذا المضمير في لتاريخ خير مثل، ولكننى أكره في شدة وعنف وصرار الحركات النسائية التى يخرج المتمسكات بها عن حدود الدين والاخلاق وبقالبد الحسنة •

فاستبرج والتحرر اللدان يدفعان بالمرأة بعيدا عن المنزل ويسكننها في عداد الرجال ويفقدنها لمعانى السكرية .لنى تحيطها كالهالة ، غير مقبولين عندى اطلاقا ولا اقربا بل أحاربها كما احارب بنفس الدرجة تقليد المرأة السودانية بتغريبات فى لبسها أو انطلاقها من قيود العرف والتقاليد • أما فى هذه الحدود فتستهل المرأة من فروع العلم والمعرفة ما تشاء ، غير نسبية أو متدسية أن واجبها الاول هو بيها كربة صالحة لتربية أبنائها ورعاية زوجها •



السيد عيسى أديرقي

السيد عبد الرحمن المهدى

النفاء السبريوي

كانت السياسة ابريطانية تعتمد في بقاء الحكم لاستعماري في السودان على التناقضات وفي مقدمتها الخلاف التقليدي بين طائفتي حتمية والانصار وبين رئيسي هاتين الطائفتين وكانت لا تألوا جهدا في ايقاد النار بينهما واهبط روح العداء وتوسيع الشقة .

وعندما خرج البريطانيون كانوا يظنون أنهم وصعوا فنبلة زمنية سرعان ما تنفجر ذلك هو هذا الخلاف لطائفي ، الذي كابوا يعنفدون نه عمق اجذور ، و نه لا توجد قوة في هذا الوجود تستطيع استئصاله في زمن قصير .

غير انني منذ عرفت الحياة بعامة كان أمر هذا الخلاف يشغل خاطري ... لم اكن اقبل هذه الوضعية الجائرة التي يريد المستعمر ترسيخها وكانت صيتي بانسيدين الجليلين دائما تحثني وتشجعي على ان احاول عمل شيء .

كانت صلتني بالسيد علي الميرغني صلة صدقة ومحبة في الله فامت على ابتغاء الخير والمصلحة للسودان واستمرت على هذا المنهاج وسوف تستمر ما دام في العمر بقية .

وكانت صلتني بالسيد عبد الرحمن المهدي طيب الله ثراه صلة قوية ربطها بتاريخ يوم ان جعل جدي حاج خالد أول المناصرين للمهدي والباذلين انفسهم ونفيسهم في سبيل الله والوطن ويوم كن والدي محمد عثمان حاج خالد أحد زعماء الحركة المهديّة وامرائها وسفرائها وسيسبيها العامدين .

وكن السيد عبد الرحمن المهدي يحضني الثقة ، ويعتقد في الاخلاص ... وكنت أجد مثل ذلك بطبيعة الحال عند السيد علي الميرغني .

ومن هنا استلطف في الساعة المناسبة ان انجح فأقرب الشقة بين

السيد بن ووقفني الله الى الجمع بينهما في ذلك اللقاء التاريخي العظيم الذي غير الى حد كبير من مجرى الحوادث في السودان ، ووجهها وجهة لم تكن في حساب اكثر المراقبين دقة حتى قال بعض الساسة الانجليز انهم كانوا بالسودان ، لقد تحققت إحدى المعجزات بالسودان باللقاء السيد بن *

جئت في حدى المبالى ابى السيد عبد الرحمن المهدي رحمه الله فقد دعى السيد كعادته طلقا مستبشر ورحب بي ترحيبا حارا *** وكان معنا في المجلس السيد الصديق المهدي نجله الأكبر *

وقد بدأت حديثي مع السيد عبد الرحمن باستحية التي اعلم يقينا انها تهزه من اعماقه وتفتح مغالب قلبه ، فذكرته بوجبتنا جميعا في صيانة الاستقلال بعد ان حصلت عليه توضيحات وتوفيق من الله *** وان هذا الاستقلال لن يصد الا بوحدة القوية ، وان هذه الوحدة لن تتم ويقدر لها النماء والخلاف بين سيدين بشكل خطرا دائما يستعنه المستعملون * واشرت الى ما يؤمن به الانجليز من انهم تركوا قنبلة زمنية تدمر السودان في الوقت المناسب ، وهي هذا الخلاف *

واستمع الى السيد عبد الرحمن بكل جوارحه وقال في عبارات منقوشة الان في سويداء قلبي باصبع من نور - اني لا امانع في هذا اسماء بل هو امانة طالت اليها نفسي وسكنها امنية عميرة انتحقيق لان تحقيقها يجب ان يكون من طرفين لا من طرف واحد واذا قلت فمن لي بان يقبل الطرف الآخر *

فلت انني سأتكلم مع اطرف الآخر في هذا الشأن للحصول على موافقه وملى قوى في الله الذي يريد بهذه البلاد خيرا *

واسرعت فتحدثت الى السيد عني الميرغني في الموضوع وبم احتاج الى كلام كثير لافناعه فقد كنت الضروريات الوطنية اقوى من ان تحفى عليه * وفي الحال حدد مبعدا كان ايام التالي مباشرة لاستقبال السيد عبد الرحمن في منزله بجهة خوجلي ولم يطلع أحد على ميعاد تلك

المنافله أو على ما سبقها من مقدمات * ولم يكده يتقابل الزعيمان الجليلان
حتى تركهما منفردين فترة *** ولا يعرف الا الله حتى الآن ما دار بينهما *
واكرر هذا الاجتماع العجول أسفر عن اتفاق تام سجل في بيان اذيع
لماس (أنظر آخر الصفحة) * وقد قد استمنه يدي من أيديهما فور
كسبه وبوقعه *

ون عملى فى انتقاء لسيدين جليدين هو من اعظم ما افخر به
فى حياتى *

واعس التبا ونشرته لصحف واذعته وكالات الانباء * وتبادلته
محطات الاذاعة العالمية وأحدث الضجة الكبرى استى كذا تتوقعها *

وكان وضعه فى بريطانيا وبين البريطانيين الذين عملوا فى السودان
خاصة وقع لمفاجأة المدهلة وأما وقعه على محبى السيدين فكان بردا
وسلاما * أن هذا اللقاء كان لديهم بمثابة معجزة من المعجزات *

وانى بعد مضى كل هذا الوقت على اللقاء بين لرجلين العظيمين
لخريص على الاتفاق بين ابطائتين ورعيهمهما ايا كان فن اتفاق الطائفتين
وليتين هو صمام الامان لهذا البلد وقد ذهب بعض محبى السيدين الى
القول لهما ان لمرور والراحة التى لقوه فى هذا الالتقاء لا يجدون
لها مثيلا * وانهم سوف لا يخضفون حتى ان احتلف السيدان !

وفيم بلى ذلك ابياد التاريخى العظيم الذى سبقت الاشارة اليه :

لان وقد شاء الله ، فنحقق لأمن العظيم الذى ظلت تنشده البلاد
منذ أمد * فالتعب وتضافيت ابعاء مرضاة الله والوطن *

يسرن ان نعلن عزمنا على الوقوف متكاتفين فى كل ما يعود على
الامة السودانية الكريمة بالخير والسعادة والحربة واسيدة الكاملة *

اننا اذ نحرص على ان تجتاز البلاد هذه المرحلة الدقيقة بطمأنينة
وسلام الى مصيرها العظيم المأمول فى سبيل خدمة وطنهم العزيز وتحقيق

أمانيه الكبرى حتى يتوفر الاستقرار والطمأنينة الضروريين في هذا
الطرف ، لعصيب .

ونرجو ان يتهيا بذلك الجو الملائم تتعاون جميع احبابنا ومؤيديه
على البر والتقوى والخير العام .

كما نأمل ان يمكن التواء جميع الاحزاب في الحال على قيام
حكومه قوميه تكون صمام الامان لكل ذلك : ونستطيع انقاذ البلاد من
كل خطر متوقع .

والله المستعان والموفق لما فيه الخير والصواب .

١٩٥٥/١٢/٣ على الميرغنى — عبد الرحمن المهدي

بعد التواء السيدين ظلت العلاقة بينهما كما علمتها وثيمة وصادفة
من الجانبين وعندما ثير موضوع رئاسة الجمهورية فلت لسيادة السيد
على الميرغنى في احدى جلساتي معه : انا اعلم انك لم تقبل الملك عندما
عرضه عليك الانجليز ، فهل انت راعب في رئاسة الجمهورية الآن ؟
فأجابني سيادته بقوله : طبع لا . قلت لسيادته فما رأيك ان رغب فيها
أخوك السيد عبد الرحمن ؟ فأجاب دون تردد . أنه لا أعارض في ذلك
على الا تكون فردية أو وراثية .

والى هنا منعنى وضعى الرسمى في مجلس السيادة وظروف أخرى
ان استمر في التدخل بينهما متمنيا لهما التوفيق الدائم في الواجبات الذي
هو صمام الامان في هذه البلاد .

السيد على الميرغنى

لقد قدمت ان صلتى بالبيتين الكريمين بيت المهدي والميرغنى أحد
العوامل ، لمعالجة في توفيقى فيما تم من انشاء السيدين الجليلين ولهذا
رأيت ان اذكر تاريخ صلتى بكل منهما ، فمن نعم الله على والائه التى
تذكر فتشكر ، ان جعلنى في أسره تحفظ بخير الصلات مع طائفتى
الخصمية والانصار ، مما كد له أثر في ان أكون ذات يوم عملا يعمل

للتوفيق بينهما دون ان يشعر أحد الاطراف باننى دخل عليه أو يتهم
اخلاصى وغرتى •

أما صنتى بالختمية عامة والبيت الميرغنى خاصة فقد انحدرت الى
من بيت سوار الذهب جد والدتى الذى هو من هذا البيت فى الصميم •
وولاء سوار الذهب ولاء قديم • وقد كن كل من جدى لوالدتى
ابراهيم صالح سوار الذهب الكبير ووالده صالح يحملان لقب خليفة
الخلفاء وعلاقتهما بالسيد الحسن الميرغنى وابنه السيد محمد عثمان
الميرغنى ثم بسيد على الميرغنى والسيد احمد الميرغنى طيب الله ثراه من
بعدهما مشهورة معروفة • وقد كن السيد احمد الميرغنى صديقاً حميماً
لوالدى رمن المهديّة وكن سيادته يحدثنى عنه كثيراً عندما كنت أزوره
بكسلا •

ومنذ ن تخرجت من كلية غردون فى عام ١٩١٤ كنت وثيق الاتصال
بالسيد على الميرغنى وقد كنت كثيراً ما افرأ معه الجرائد والكتب
وبرقيات رويتر • وتتبع احداث حرب الكبرى الاولى • ونمت هذه
العلاقة وارداً على مر الايام قوة ووثاقة حتى يومنا هذا • انها صلة
روحة منسة وصداقة محببة مبنية قوامها الصدق والحق والعدالة
والوجوب •

ولا ازيد فان هذه العلاقة الكبيرة ذات الاثر الواضح فى مجرى
حادثى : يحتاج الحديث المفصل عنها الى مراجعة طويلة لكل التطورات
الوطنية والتاريخية منذ مسهل هذا القرن حتى العهد الاخير وهو أمر
مجاله واسع ويقضى لاستبائه لكثير من الوقت والكثير من الجهد ••
وقد شهدت لهذا الرجل موقف وطنى وسياسية قد لا يريد مردها
ولكنها كانت مصدر فخر واعتزاز عظيمين •

ولقد سمعته يقول للمصريين لا تطلبوا من السودان غير الصداقة
وتبادل المنافع أيام ان كانت علاقة السودان بمصر موضع الكلام •

ولكن الانجليز لم ترضهم المواقف الوطنية التي كان يتخذها
مبيادنه ولعل مما يصور طرفا من ذلك ان اقصى على القارىء ما در ذات
يوم بينى وبين المستر بنى (مدير المخابرات بالسودان) *

في سنة ١٩٤٦ رارنى المستر بنى في درى ، وكان واضح الغضب
وقال لى بعد مقدمة : انما لم تنع من أحد في هذا الكون مثلما تنعنا
من السيد عى . فقلت له لماذا ؟ فاجاب ر السيد عى المرغنى كب في
سفر البوء الذى أصدرته حكومة السودان عام ١٩١٤ هذه الكلمات :
ان كل مسلم ينظر الى تركيا باعتبارها قاعده الخلافة الاسلامية ولكن اذا
تجردت تركيا من هذه الصفة وتفقت مع الالمان في أمور دينوية ، فعن
غير راضين عنها . *

واستطرد المستر بنى قائلا : ولم تكن راضين عن هذه الكناية
لضعفها في تأييده بالنسبة للكتابات التي تريدها واتى كتبها كبار
المسلمين في العلم ولولا ان نشرها خير من اغفلها ، لما قبلنا بتضمينها
ذلك السفر . *

ومضى يقول : وفي عام ١٩٢٣ حين نشبت الحرب بين الملك الحسين
وابن السعود طلبت الحكومة من السيد على الميرغنى وكذ في سنكات ،
السفر الى الحجاز وفسع الملك الحسين برفع علم الانجليزى على
(جدة) لكى تحميه بريطانيا العظمى . *

وبدلا من ان يوافق السيد على على هذا الطبع وبخنا *

وفي عام ١٩٢٤ عند نشوب الاضطرابات في السودان سبب
لابيض سافر السيد على الى دنقلا وبعثت اليه الحكومة بعدة برقيات
لكى ينشر على الناس ما يهدئهم ويضمن ولاءهم للحكومة ولكنه لم يرد
عنى تلك البرقيات . ثم أضاف المستر بنى :

« والآن ومسألة السودان تأخذ صبغا حادا والمظاهرات تنطلق في
كل مكان والشعور العام في غاية الهياج ، لا يحتاج الامر الى اكثر من
كلمة ينطق بها السيد على ولكن السيد على حتى الان لم يهل هذه

الكلمة * ان على السيد على الا يقف في مفترق طرق وان يحدد موقفه
وتركت المستر بنى يفضى بكل أقواله ثم سألته في هدوء :

هل هذا الكلام هو علمي الشخصي * ثم لشخص لسيد على ؟
ثم ردفت قدامى كن مقصود به شخصى فلا حاجة لى على أمر لا يحصى .
أما ان كان المقصود به ان انتقل هذا حديث للسيد على فلم أكن فى أى
يوم واسطة بىكم وبين السيد على * وقد كان الاجدر ان تقابله شخصيا *
فأفهم المستر بنى وخرج يجر اذيال الفشل *

ابن عفان الثورة المهدية

أما صلتى ببيت لامام المهدي طيب الله ثراه فقد عرسها جدى
المعفور به ، حاج خالد كما قدمت * اذ عندما ثار الامام المهدي الكبير ،
وتقدمت فوائده بفتح الابيض * * كان حاج خالد من كبر التجار فى عصمة
كردفن * * * وكان ثروة مال وعقار ومواشى تزينه النقوى وحب رحل
قبيلة العرب وولائهم له *

وقد سارع حاج خالد فبايع المهدي عن عقيدة وابمان فى (قدير)
وحارب معه برجاله فى (شيكان) وغيرها الى فتح الخرطوم ووضع كل
ما يملك من مال مائل فى خدمة الدين و الوطن ، حتى وصفه الوصفون
بأنه قد تشبه بسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه حين وضع كل ما يملك
من مال فى خدمة الدعوة الاسلامية *

وكذلك هذه المسايعة لصادقة أثرها فى نفس الامام المهدي حتى أصبح
حاج خالد من أقرب اقربين اليه ، وأصدق مستشاريه *

ويقال انه لم يأكل الامام المهدي فى بيت أحد لا فى بيت حاج خالد
وقد ذكرنى ابيه العظيم السيد عبد الرحمن بهذا عندما تناول معنا العشاء
بمنزله ذات ليلة ثم قال عندما فقم من المائدة (أكبت فى بيت أكل فيه
والدى) * وكنت غائلا يحتفظ بالاماء الذى أكل فيه الامام المهدي

الى أن اهدته مؤخرًا الى السيد الامام عبد الرحمن كآثر تاريخي للرابطة
النسبي بن، ليتين *

وليسمح لي الفاريء أن، سنطرد فأروى واقعتين تدلان على المكانة
التي كنت لجدى المرحوم الحاج خالد عند الامام المهدي والسيد خليفته،
كتب لواقعة الاوى عند فتح الابيض بصوات لامام المهدي * اد وقع في
السنه ١٢٠٠ كذا ١٢٠٠ فريه الالهة *

وأمة في حالة مؤلمة من الخوف والاشفاق على والدهم ... فأرجو ان
تعمل شيئا لا تقادنا .

وتأثرت جدا من حديث لشاب وأسرعت الى رئاسة مجلس الوزراء
حيث قابلت الصاغ صلاح سالم وقلت له ، وأد واضح القلق والعضب :

علمت الان من محمد نجل اللواء ، ابننا أن أباه اخذ في لوري
عسكري الى حيث لا يدرون .

واتى لا أسأل عن الجرم الذي ارتكب ولكنني اذكركم بما لقي
اللواء ابننا من عذب وتشريد في عام ١٩٣٤ في سبيلكم وهو يصعد مع
ثوار جمعية اللواء الابيض ... وكيف انه كان معرضا للموت وقد وضع
فعلا في هدف لرمبه بالرصاص ولكن عناية الله أنقذته .

واضفت في عبارات هازمة جهدت ان اضمها شعوري بالاستياء
من وراء الالفاظ .

اننى اصب في الحاح اطلاق سراح ابناء والسمح له بالسفر الى
السودان ان لم يكن مرغوبا في وجوده بمصر .

وسوف لا اخرج من هذا المكتب قبل ان يطلق سراح ابناء لكي
يعود الى أسرته اتى تعيش الان في حالة بلغة من الازعاج والذعر .

دار بينت هذا الكلام حوالي الساعة العشرة صباحا ... ومكثت
في قاعة لا انتظر برئاسة مجلس الوزراء حتى قبيل الساعة الثانية بعد الظهر .
والصاغ صلاح سالم يبدل مجهودا في التشاور في هذا الموضوع خلال
هذه الفترة حتى جاءني صلاح سالم وقل لي : ان اللواء البناء في الخارج
فخذه ولم أضيع دقيقة واحدة فأسرعت نحوه . واركبته سيارتي وذهبت
به الى أسرته :

وقد كان استقبال أبنائه وزوجته له استقبالا عاطفيا مشيرا دفع
بالدموع الى عيني .

وقبل ان اتركه قال لي عبارة لم افطن الى مغرها في ذلك الحين ..
قال (ن التاريخ يعيد نفسه)

ورجعت الى السودان وتذكرت عبارة على البناء وقتلتها الى بعض
أهلى ققصوا على حادثا تريخيا وقع بين ولده محمد عامر البناء وجدي
الحاج خالد وفيوا ان على لبناء انما كان يشير الى هذا الحادث
وتفاصيله كما يلي : ب

غضب الخليفة عبد الله على محمد عامر لبنا الشاعر لسبب من
الاسباب وأمر باعتقابه وارساله الى المسمى في الرحاف .

ولما غادرت البصرة أمدريان سمع جدنا حاج خالد بالخبر ، وكان
صديها لمحمد عمر البناء فتأثر جدا ... وخف الى دار لخليفة . ولما سمع
الخليفة بحضوره خرج اليه وقال له : ماذا جاء بك يا أبونا حاج خالد
وكان لا يقول (أبونا) الا له .

فأجاب عنس انكم غضبتكم على محمد عمر البناء وارسلتموه الى
وأردت ن اذكركم بان البناء هو اشاعر المجيد الذي كان يوم فتح
الخرطوم الى جانبي وجانب الامام المهدي يلقي قصيدته التي مطلعها
(الحرب صبر ، واللقاء ثبات ، ولموب من شأن الاله حياة) .

ولم أرسروا في وجه الامام المهدي اكثر من ذلك ، اليوم وقد دعا له
عند لانتها من القاء هذه القصيدة بالخبر .

نسى أرى ان الباء يستحق المغفرة من أجل هذه السابقة .

فصل له الخليفة في الحال : استريح يا أبونا حاج خالد البناء .
(هُكُغ) يرجع وأرسل احيالة فردوه من الباخرة وهي في عرض البحر
بعد شجرة ماحى بك (شجرة غردون الآن) .

وبسبب هذه المكانة الرسخة التي كنت لحاج خالد عند الامام
ثم عند خليفته من بعده اكتسب الكلمة النفذة والاستشارة المعبولة .

وقد ورث أبه محمد عثمان عن أبيه تلك الخلال فوجد في عهد
الخليفة عبد الله ما وجد والده خبرز اسمه ، وحاز على الثقة وكن في
مقدمة مستدري صحيفة في الامور السياسية *

ولم يعد مستغرباً بعد هذه العلاقة الوثيقة العريقة ، أن يمنحني
الامام عبد الرحمن المهدي رحمه الله ما منحني من ثقة ومودة واکرام ،
لا زلت أقبلها بالشكر والاعزاز ولشخصه وسه بالحببة الخالصة
والاجلال العظيم وبكل ما كان له أهلاً من تقدير وهو الذي بذل في
سبيل استقلال بلاده محامداً يصحبه الغالية ، وماله الكثير وتوجيهه
السديد ، طيب الله ثراه وجزاه عن السودانين خير اجزاء *

سجنى سكران لا تنسى

ان المعروف فى هذه المذكرات ، ان تكون تاريخا لبعض احداث حياتى ، ولكنى اشعر انها ستكون نافضة لو لم اسجل فيها نبذا قصيرة عن شخصيات اعجبت بها بين مواطنى ، ولما كان بين تلك الشخصيات عدد كبير ممن تربطنى بهم علاقة الدم وآخرون من زملاء الفكر والجهاد السياسى ، فقد ريت ان اقصر الحديث على من انتقلوا الى رحمة الله ورضوانه من أصحاب تلك الشخصيات التى لا تنسى ، ثم أورد ذكرهم مرتب وفق الترتيب لهجائى لاسمائهم تغمدهم الله برحمته .

الشيخ احمد السيد الفيل

الشيخ احمد السيد الفيل رجل الدين الكبير ، وأحد أركان المجتمع والسياسة فى عهد ما قبل الاحزاب والوطنى الذى خدم بلاده فى غير من ولا أذى منذ ان رأت عيابه النور الى ان اغمضهما الموت - من اشخصات السوداية التى لا تنسى .

لقد كان رحمه الله رجلا مكتمل الخلق ، غف اللسان واليد طيب السيرة والسريرة أمين بر ذو غيرة وإيثار .

واذكر له بكثير من الاعتزاز والاعجاب مواقفه ، لسمية فى رفع مستوى المحاكم الشرعية وقضاها ٠٠٠ كما اذكر له عناده وصلابته وقوة شكيته وهو يصول ويجول بين الخريجين فى النادى ، عملا لمصحتهم ساعيا لحيرهم .

ولعل الكثيرون يعرفون كيف كان جريئا وصلبا وهو يرأس لجنة العشرة التى جاهدت رفع مستوى الخريجين حين كان الانجليز يعتزمون خفض هذه المرتبة .

لقد كان الخريجون هم الطبيعة التى تمثل السودان الجديد وكان

خفض مرتباتهم انما يعنى دفعهم الى الوراء والتأثير على مسنواهم.
الاجتماعى والادبى *

ولم يكن سهلا ان يقف المرء فى ذلك العهد ضد خطة استعمارية
يعززها حكم قائم شديد البطش *

أما أعماله فى مؤتمر الحريجين ومساهمته الفعالة فى التطورات
الوطنية فحدث دخل فى ذمة التاريخ *

لقد كان رجال الشرع يعتصمون فى تلك الاوقات بتقاليد تبعدهم
عن كل نشاط مدنى ** ويحفظون لأنفسهم بايراج عاجيه تغزلهم عن
المجسع مستسلمين لوقار تقليدى عتيق وهى فى واقعها حثيه وحذر *

فك الشيخ احمد السيد القبل هذا الحاجز الوهمى الكبير وخرج
يحمل القأس والمعول يصرع ويدافع ويحطم هياكل الزيفه و لطفياذ *

لقد كنت على اتصال دائم بالشيخ حمد السيد القبل طول حياته *
وكنت اعرف الناس بما تجيش به نفسه من حب للخير ، ووطنية خالصة
مخلصة وايمان لا يتزعزع بهذا الشعب الأبى *

وكان من أبرز صفاته انه فى شغبوخته كل يحمل جراة الشباب
وعزيمته واندفاعه *

وقد اشترك بقلمه وتوجيهه فى جريدة صوت السودان يوم كانت
لسنا ذرياً ضد السريصريين ودوعى فى حرم ودقة كدبه الاحرر . فم
يجعل للمستعمرين ، بهم سيلا ورأس مجلس بلدى مدرمان *

ومضى لى بارئه ولم تشب سمعنه ربيبة - رحمه الله وافاء عليه -
من سحائب رضوانه *

حسن عثمان اسحق

لقد خسر السودان بوفاة السيد حسن عثمان اسحاق (أحد ابكار
خريجه) شخصية فذة ذات أثر *

لقد كان رحمه الله من المثقفين القلائل الذين يحسنون اللغتين العربية و الإنجليزية كتابه وقراءة وحديثا * * * وكان من المثقفين لقلائل الذين يلمون بتاريخ السودان قديمة وحديثة المأما دقيقا ، وكان من المثقفين القلائل الذين رعوا تقليدهم داخل السودان وخارجه ، وكانوا في دفة الميزان رأيا وفهما وتقدير ، *

لقد كان ينتمى الى حزب لاتحاديين ولختمبة كعنوان ولكنه في واقعہ كان لسودان كله لم يعرف استجير ولا التحزب ولا التعصب ولا ، لالنواء القبلى أو العنصرى أو الدينى وكان معروف بالصراحة الى تجرح أحياء ولكنه كان أبيض القلب ، لا يحقد ، ولا يؤذى ولا يشى بين الناس بالسوء *

ولنى لادكر له بكثير من التقدير مجته وهو محمول على سرير من شدة مرض سيؤبد وجهه نظرى في لجنة الدستور التى كان هو أحد عصائها * وكانت وجهة نظرى كما أوردتها في غير هذا المكان تقول ان الحكم اثنائى قد انتهى بالغاء مصر لاتصقيات ١٨٩٩ / ١٩٣٦ وان الدستور الجديد يجب أن يبنى على هذا الاساس - رحمه الله *

السيد حسين شريف

كان المرحوم السيد حسين شريف من أصحاب فكرة نادى اخريجين في فجره ، كما عمل لسدى بعد قيامه وقد عمل في الصحافة عملا متواصلا الى ان وافاه لأجل في سنة ١٩٣٨ فجزنت عنه البلاد حزنا عمقا ومشت الحماضت وراء نعشه وأحسن اخوانه بالفراغ لكبير الذى تركه موته الباكر وقد أهل الحسين للعطف العام عدة عوامل منها ما امتاز به من وعى سياسى تقدم فيه جيله * لقد كان السيد حسين يتحدث عن الوطنية وعن الاستقلال وعن تقرير المصير في حين ان الاكثريه من الشعب لم تكن تعرف ما تنطوى عليه هذه الالفاظ من معنى * وكان سيد حسين يؤمن بشعب السودان وبحقه في البقاء والاستقلال وهو من أوائل الذين فؤوا ان «السودان للسودانيين» ويرى السيد حسين ان التعليم هو وسيلة



الدردری وشقیفه الرشید (الجالس)

ودعامة للاستقلال ولذلك نادى بإنشاء الصندوق الاهلى سنة ١٩٣٢
وأعرض من هذا الصندوق فتح المدارس الاهلية ونشر الوعي • وكتب
السيد حسين عدة مقالات في جريدة الرائد يدعو فيها لإنشاء جريدة
سودانية وطنية وكانت المقالات بعنوان «شعب بلا جريدة قلب بلا لسان»
وكان السيد حسين خطيبا بليغا ذا أسلوب ساحر اذا اعتلى المنبر خلب
الالبيب وهز المشاعر وكانت كلماته الوطنية تسرى كالكهرباء في أوساط
المعلمين • وكان السيد حسين جادا أميناً مخلصاً في طلب الاستقلال
ولذلك لم ينهم حتى من المنظرين من دعاة وحدة وادي النيل في ذلك
العهد وكان السيد حسين مترفعاً عن الدين وقد اصطدم بالحكام الانجليز
عدة مرات وقد نفاه لانجوير مرتين مرة الى اجيوب ومرة الى مروى •

وتولى رئاسة جريدة الحضرة ولم تكن هذه الجريدة تعبر عن رأى
السيد حسين السيد حتى فقد كان قسم المخبرات لا يسمح بنشر رأى
لا يتفق مع سياسة الحكومة ولكنه رغم هذا فقد استطاع أن يوجهها
لخير البلاد •

وقد ظهر السيد حسين بمكانة مرموقة وباحترام وتقدير كل فئات
الشعب وهم يكن محصوراً بين اخريجين فقد كان الخمية يحترمونه
رغم ما بين الخمية والانصار من خلاف •

السيد محمد عثمان

من الحوادث التي لا أنساها عند ذكر الامتشاء بان المرء لا يموت
قبل يومه وان وجه الموت المحقق ما حدث أمام عيني لشقيقى الاكبر
الرتيد كان يرحمه الله طالبا في الكلية الحربية عام ١٩١٢ وكان طالبا هذه
الكلية يشتركون في تمرين اطفاء الحريق في كلبه غردون ليلا وكان على
أد وبعض الطلبة ان ينقلبهم وتتعاون معهم بوصفنا قوة طوارئ •

وإذكر في هذه اللحظة وفائع تلك الليلة كأنها مرت بالأمس .

لقد فرع جرس الحريق ، و نقت كل منا من مرقد ، وجريت هما
وهناك في انتظار المجدة وقفز على حين فجأة أمامي من أعلى السور
أحد طلبة الحرية لأن لباب كان موصدا وكان هذا الطالب هو الرشيد
أخي وقد وقع عند سقوطه فقد انزلت لسنجه من جربها واكشف
حده وسبقه مؤخرها عند وثوبه لى الارض بينما ظل أعلاها معلقا به ،
فلما هبط انغرس في أبطه وخرجت من الجانب الآخر .

وكان من المضمل لولا لطف الله ان يكون الجرح خطرا ، أو مميتا
اذ كن اتجهها الصحيح كما قيل يومئذ ان تنغرس في بطنه وكتب له عمر
جديد وسكن الى حين .

ففى عام ١٩١٣ تخرج الرشيد ضابطا والدنيا لا تسعه من الفرحه
لقد كن المستقبل أمامه باسم + وتقرر نقله الى سجنه .
وودعناه في المحطة .

واستقل البخرة كرومر من سنار .

وفى جهة الشيخ طلحة هبت عاصفة شديدة ونهبت البخرة ومات
وهو ابن عشرين عاما . ومن انذى مات غرقا ؟ الشاب الذى كان يقطع
البحر سباحه بين أمدرمان وجزيرة توتى . ينحو حث يتأكد لموت
ويموت حيث تكاد تتأكد الحية .

ومن لم يمت بالسف م يعبره والله الامر من قب ومن بعد وعلى
الرشيد رحمة الله ورضوانه .

محمد احمد سليمان

كان محمد احمد سليمان نادرة من نوادر رجال التعليم في السودان
كان مخلصا لمهنة + مخلصا لوطنه ضحى من أجلها بجهد ووقته
ومستقبله وأخيرا ضحى من أجلها بروحه +
ولبدأ من البداية : —

كان محمد احمد سليمان أحد المدرسين البارزين بورارة المعارف
المشهورين بالقدره وحسن الفهم وكثرة التجارب والحدق •

وكنيت اعرف فيه هذه الصفات كم اعرف فيه الوطنية والغيرة على
التعليم والادراك العالي لوجاته •

ولهذا السبب قد قضدته بمجرد ان اصبحت مدرسة بورسودن
الاهلية خفيفة عمية بما جمعنا من مال • وبذلنا من استعداد •

وكنيت أشعر بأن قبول رجل مرموق من رجال التعليم الحكومي
وينتظره مستقبل باهر لنظرة مدرسة أهلية أمرا ليس سهلا •

ولكن حسن ظني به جعلني لا اتردد في مخاطبته في هذا الشأن •
وكان يدفعني الى اختياره بالذات أمران :-

أولهما : رغبتي في تأسيس المدرسة من الناحية الاكاديمية تأسيسا
صحيحا سليما لا مطعن فيه بحيث تحصل على تقدير الناس واحترامهم
وبالنسبة لافعالهم وثقتهم •

ثانيا : رغبتي في أن تقوم هذه المدرسة وهدفها اذكاء الروح القوية
في نفوس الطلبة وهي مسألة هامة وخطيرة بالسبب لمنطقة من السهل ان
تدخل فيها الشغرات القبلية والمفاهيم الخاطئة التي كثر معتقوها
تحيطا وجهلا •

وقد كان محمد احمد سليمان عند حسن ظني فاستجاب طلبي بعد
ان عرف مهمة المدرسة •

ولم يكن للاغراء ولم تنه المخاوف ... لقد كان أمامه في وزارة
المعارف مستقبلا ضخما فتركه •

وكان أمانه في التعيين الأهلى طريقا غير معد بل طريقا وعرا قل
سالكوه يحف به القللام من كل جانب وتتارعه شتى الاحتمالات ***
فهم يبال - ان تصرفه في ذلك الوقت ومع تلك الظروف لم يكن عاديا *

ودعه قبل قبول استقالته من مصلحة المعارف لمستر اسكوت
نائب المدير وأخذ يحاول فذعه بالعدول عن الاستقالة *** ذكره بأن
التعيين الأهلى لم يستقر بعد وذكره بما ينتظره في المعارف من مستقبل
ثم ذكره بمدى خدمته *** غير ان محمد احمد سليمان ظل مصرا على
موقفه ***

وقبل محمد احمد سليمان على العمل في المدرسة فبالا شديدا *

كانت معركة الانشاء وخاصة في بورسودان معركة صاخبة ***
واصل فيها من النهار *** لقد كان مجهودا ضخما أثر على صحته
وهو مصاب بداء الرئة *

ولم يكن يستمع الى نصيحتي وقد اطالبه بالاشفاق على نفسه
فلا يرهقه بما لا تطيق وكان يستمر في بذل جهوده وهو يقول . -

انى اعرف مرضى ، واعرف ما هو مصيرى ومن الخير لى ان أموت
شهيدا فى ميدان الواجب الاكبر *** ميدان التعليم *

ومضت المدرسة فى طريقها *

وشكا الى كثيرون من أباء الطلبة بأن الشركات ودور لاعمال فى
بورسودان لا تقبل خريجي المدرسة من لسودانيين وتؤثر
عليهم الاحاب *

و نهزت أول فرصة قابلت فيها لحاكم عام عند زيارته
لبورتسودان وتحدثت إليه في الموضوع وقلت له ان أبناء البلاد احق
بأن يجدوا مجالا في مناصب لشركات ودور الاعمال من غيرهم •

وقال لي : ان الشركات ودور الاعمال تقوم على أساس تجارى •
ويتطلب عملها خبرة ومراة في هذا الميدان وليس عندكم تعليم تجارى
كيف توظف الشركات ودور الاعمال أشخاصا لا تستفيد منهم • ؟
وحدثت محمد احمد سليمان ما دار بينى وبين لحاكم العام •

فقل لي دون تردد : اذن فيمكن لديننا في المدرسة الاهلية
ببورتسودان تعليم تجارى وسافر الى مصر • • • واحضر معدات التعليم
لتجارى ، ككتب عربية عربى وانجيزى وكتب ومدرسين ، منهج الخ •
وانشأ القسم التجارى فى ستة أشهر فقط •

وبعد سبى فقط ظهرت الدفعة الاولى من خريجي هذا القسم
حيث تلقفهم الشركات ودور الاعمال جميعا • وكن عدد خريجي هذه
لدفعة عدد لا يسهان به من أبناء البلاد •

وقد سبف المدرسة الاهلية فى بورتسودان بذلك التعليم
الحكومى التجارى •

وكانت المدرسة الاهلية فى بورتسودان ان تدرس لهذا القسم
بالليل من مكن الكثيرون من الموظفين وغيرهم ممن يعملون فى النهار
من الاثخان به • وكن بذلك فائدة مزدوجة •

ومات محمد احمد سليمان من تأثير المجهود الكبير الذى بذله •
مات كما يموت البطل فى وسط المعركة شجاعا قويا أيا ، لم يستسلم
لم يتفقر ، لم يخفق اللواء •

فسلام عليه بين الشهداء •

البربري

محمد السيد البربري رب الاسرة المعروفة بهذا الاسم في بورتسودان
ومؤسس ذلك بيت لتجاري الكبير ومن الشخصيات التي لا تسمى •

كان رجلا كريما فيض الكرم ينبعث لعمل الخير عن طبع اصيل
كما ينبعث العبير عن الزهر ، وانور عن الشمس •

كان رجلا ذا دين يؤمن بربه ايمانا صحيحا سليما ، ينبع أوامره
ويتجنب نواهيه ، ولا يفرح في شعيرة من شعائر الاسلام •

ورغم انه لم يكن متعلما فقد كان فطنا ذكيا حاضرا البديهة ،
وقاد التريجة فد تفلب في التجارب فنضج وتحمص •

وقد اتصب به أثناء عمله في بورتسودان عام ١٩٤٨ فتمت بيني
وبينه صداقة وثيقة ازدادت على الايام قوة وصلابة •

وكان يجمع بيننا شعور مشترك بضرورة العمل لمصلحة الشعب ••
وكثيرا ما فكرنا في انشاء مؤسسة تسد حاجة عامة في البحر الاحمر حيث
ضن الاستعمار على أهله بكل سبب من أسباب التلذذ والتحضّر والعمر ذ•

ولم يكن خيار هذه (الحاجة) سهلا ، ذلك انه اين ادرت بصرك
رأيت قصا أو قصورا في ضرورة من هذه الضروريات التي تعتبر قواما
للشعب ••• أي شعب •

واستقر رأينا في النهاية على تقديم (التعليم) على غيره لان منطقة
البحر الاحمر على سعتها لم تكن توجد بها آنذاك غير مدرسة وسطى
واحدة وبضعة كتائب •

وقد استهل محمد السيد البربري التبرعات بمبلغ ألفين لبناء

مدرسة بالحشب وقال لى فى صدق أرجو ان تأتى الى كلم طلبت مبلغا
للمدرسة وتفتح هذه الخزنة (خزنة بجانبه) وتأخذ ما تريده .

ومضينا نعمل لبناء المدرسة الاولى الوسطى والثانوية فى مباني
مؤقتة بالأحجار .

وحدث ان احتجا سميرد من المال وجئت لمحمد السيد البربرى
وحدثته بما أريد وكلما جئت لزيادة المال قال لى ان خزنتى بين يديك
فخذ منها ما تحتاج اليه . فخرج قد بدأنا عملا ويجب ان نتمه ولما بنيت
لمدرسة الثانوية بمبلغ لا يزيد عن الخمسة عشرة ألف جنيهها اكثرها من
البربرى جئت أخيرا فقلت انا نحتاج الى أربعة آلاف جنيهه فقال لى
اجمع لى مائة جنيه من اخوانك التجار وأقا ادفع الباقي .

فاستغربت لذلك فقلت كيف تعجز عن دفع مائة جنيهه مع انك تدفع
فى الوقت نفسه أربعة آلاف .

ولم أفطن الى غرضه ... فسأته : وما هى جدوى هذه المائة
جنيه ما دمت قد قررت دفع المبلغ كله .

فجاب فى بسمة هزنى (عَشَّان أولادى بكره ما يقولوش دى
مدرسة أبونا) لقد كنت كلست يسيرة ... ولكنها اشتملت على معنى
كبير عميق ... ودلت على روح الرجل وجمال نفسه .

وقد قضيت فى بورتسودن زمنا ولم يكن يمر يوم دون ان اشهد
من فضائل هذا رجل ما يزيدنى فيه حب خالصا لله وحده .

بل لم يكن يمر يوم دون ان يشهد الناس من فضائله ما يحبيهم
فيه جمعا .

تقد كان مثالا عليا للمواطن الصالح يرحمه الله .

وعند ذكر التعليم الاهلى على المؤرخ المتصف الا ينسى المدرسة
الاهلية بأم درمان وكيف ان قرأ كريماً من المواطنين قد هبوا في وجه
المستعمر في سنة ١٩٢٧ وطالبوا بفتح هذه المدرسة التي كانت النواة
الصالحة للتعليم الاهلى في السودان ونذكر من هؤلاء الرجال على سبيل
المثال السيد اسماعيل الازهرى المفتى السابق والشيخ احمد حسن
عبد المنعم والشيخ سيد احمد سوار الذهب في تشييدها رحمهم الله جميعاً
فقد قامت هذه المدرسة على اكتافهم وان كان لكثير من المواطنين بعد
لهم الفضل في تسييرها كالبكباشى محمد نور الذى تولى رئاسة لجنتها
وعمل لها بكل اخلاص الى ان مات رحمه الله هذا وقد تشرفت أنا
بالعضوية في لجنتها العامة والفنية والتدريس بها في أوقات فراغى •

محمد سر الختم صالح جبريل

كان المرحوم محمد سر الختم صالح جبريل في عام (١٩٢٣) اقدم
ضابط في فرقة العرب الشرقية المراقبة في القضايف •

وكان في فرقة العرب الشرقية من الضباط يوم ذاك نخبة كريمة
عرفت بوطنيته وحسن استعدادها للعمل العام • ومن بين هؤلاء اذكر
اسمى عبد الله بكر وعبد الدائم محمد •

وكنت دائم الاتصال بهؤلاء الضباط بحكم عملى كنائب مأمور
المركز وبحكم الصداقة التي تربطنى بالمرحوم سر الختم وعبد الله بكر
وبعض الضباط الآخرين •

وحدث ان التحق بفرقة العرب الشرقية ضابط ملازم ثانى من
الدفعة الجديدة يدعى الجبلى العوض (رحمه الله) •

وذاث يوم أراد هذا الضابط السفر ، ولم تكن توجد بطبيعة الحال
في ذلك العهد سكة حديد •• ولا سيارات فطلب الضابط من القائمقام
الانجليزى ملز بك قومندان الفرقة اعطائه حسب القاعدة المتبعة ثلاثة
جمال لنقله هو وأسرته الى مقره •

ويبدو ان القومندان استنكر على الضابط الجديد هذا العدد من
الجمال فاجاب ساخرا * ثلاثة جمال ليه *** زمان في المهدي ما كنت
أنت وأمك وأبوك بتركبوا في جبل واحد ؟ الجد شنو ؟

وغضب الجيلي العوض لهذا التعرض غير الكريم .

وفي الحال جاء الى ميز الضباط وحدثهم بما تفوه به القومندان
من عبارات مهينة وكان واضح التأثير .

واستاء جميع الضباط لتصرف القومندان ورأوا ان الالهة التي
وجهها للضباط الصغير تشملهم جميعا .

وعندئذ أمر سر الختم صالح جبريل كل الضباط ان يرتدوا اللباس
الرسمي فلما فعلوا قادهم في تشكيل عسكري الى القومندان .

ولم يكند القومندان يراهم على هذا الحال ، حتى وضع الانزعاج
في وجهه .

وقال سر الختم للقومندان : ان الكلام الذي وجهته للضابط هذا
الصباح قد اساءنا كلنا .

واننا لنحتاج على هذا التصرف .

وادرك ملز بك حرج مركزه *** فنفي بكل شدة أقوال الجيلي
العوض وانكر أنه تفوه بتلك العبارات التي نسبت اليه واستشهد بالصاغ
حبيب أركان حرب الفرقة فأيد أقواله واعتبر الموضوع منتهيا .

ونقل المرحوم سر الختم صالح جبريل الى الابيض وانهم بقيادة
المظاهرات التي سارت ضد الحكومة .

وصدر أمر بلحضاره الى الخرطوم .

ولم يكند الناس يتسامعون نبأ دعوة سر الختم حتى هرعوا بأعداد
كبيرة الى المحطة لوداعه .

وعلم قومندان البوليس بوجود هذه الحشود في المحطة فخف الى منزل سر الختم وطلب اليه الركوب معه وكانت نية القومندان ان يذهب به الى محطة (العين) بدلا من محطة الابيض المكتظة بالمودعين وادرك سر الختم ما أريد به وركب سر الختم في المقعد الخلفى للسيارة وفيما هما في الطريق اخرج سر الختم مسدسه العسكرى من جيب رداؤه وصوبه نحو القومندان ، وطلب اليه الذهاب به الى محطة الابيض .

وكان القومندان يعرف سر الختم جيدا ، فاطاع دون تردد .

وكان لسر الختم ما أراد فقد استقل القطار من الابيض مودعا بحفاوة شعبية ضخمة . تحدثت عنها المدينة ملويلا .

ولم يسكت سر الختم بالجيش السودانى غير فترة قصيرة فقد التحق بالجيش المصرى ، ولم يعد الى السودان الا عند احالته الى المعاش .

لقد كان المرحوم سر الختم صالح جبريل من الشخصيات السودانية القوية الجريئة .

كان يحافظ على كرامته وعلى كلمته ، وعلى صلاته الاخوية
رحمه الله .

خاتمة

الى هنا تنتهى الصفحات التى رأيت ان اقدمها لقراء هذه المذكرات ،
وهى كما رأى القارئ ليست تاريخاً لشخصى أو عائلتى ، وانما هى لمحات
وذكريات وبعض صفحات من حياة ، تخيرتها وفى يدي ميزان أرجو
الا يكون قد اخلل وهذا الميزان هو - كما قدمت - ان اقف عند ذكر
احداث حياتى على ما قد يصور جانباً من تاريخ بلادى ، أو يشيد بعمل
وطنى قام به جماعة أو أفراد كانت أعمالهم فى زمانهم والظروف المحيطة
بهم يوم كان المستعمر جاثماً على الصدور ومكماً الافواه حقاً
أعمال بطولة ، تقتضى الاشادة والانصاف فاذا تطرقت فالى حادثة
تصور مواقف المستعمرين من المواطنين معتمداً على تجاربى الشخصية
لا اتنى بلا شك اكون اعلم بما جرى لى مما جرى للآخرين وتناقلته
الروايات بالتحريف أو التقليل أو التهويل ، وكما قلت من قبل ليس
هدفى من كل ذلك الا ان اضع أمام المؤرخ مادة يضمها تحت مجهره
ويضاهيها بما يتوفر لديه من مواد حتى يصل الى الحقيقة فتجنبنا كل
ما يثير الجدل أو يخدش تاريخ مواطن أو فريق . فان وفقت فذلك
ما أملت ، والا فللمجتهد اجران والحمد لله على كل حال .